

بجور سيمونون



أقصة المراهق



مكتبة الاسكندرية

راقصة الماري

جُورج سيمونون

راقصة المالهي

ميفريه



مفريه

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

رقم التسجيل

١٤٧٧٥

رقم التسجيل

مكتبة الإسكندرية

LA DANSEUSE DU GAI-MOULAIN

by

GEORGES SIMENON
(MAIGRET)

ترجمة

بسام حجار

ARABIC EDITION 1993
© SAWT AL-NAS
P.O.Box:7038 - Limassol
CYPRUS
P.O.Box:113/5796 -Beirut
LEBANON

ISBN 1-85513-184-6

جميع الحقوق العربية محفوظة



الطبعة الاولى، آب / اوتسطس ١٩٩٣
للغلاف، تصميم رملة شعاعة
رسوم، شيفرون كوريغان

المحتويات

٩	١ - أدبيل وصديقاها!
٢٩	٢ - صندوق النثریات
٥١	٣ - الرجل العريض المنكبين
٧٣	٤ - مدخنو الغليون
٩٣	٥ - مواجهة
١١٧	٦ - الهارب
١٣٥	٧ - الرحلة الغريبة
١٥٣	٨ - «شبه جان»
١٧٧	٩ - المرشد
١٩٧	١٠ - رجالان في العتمة
٢١٧	١١ - المبتدئ

- ١ -

أدیل وصدیقاها!

– «من هو هذا الرجل؟...»

– «لست أدري! لم أراه من قبل»، قالت أديل وهي تنفثُ دخان سيجارتها.

وانزلت إحدى ساقها عن الساق الأخرى، وريّنت بطرفي كفيها على الصدغين، وألقت نظرةً الى إحدى المرايا التي تغطّي جدران الصالة للتتبيّت من أن زينتها لا تزال على حالها.

كانت تجلس على مقعد مُنجدٍ بالمخملِ الرّماني، الى طاولةٍ وضعت عليها ثلاث كؤوس من شراب البورتو. كان يجلس شاب الى يسارها، وآخر الى يمينها.

– «ارجو المذرة، يا صغيري...!».

طالعتها بابتسامة رقيقة، متواطئة، ثم نهضت، واجتازت الصالة، وهي تتأرجح بوركها في اتجاه طاولة الوافد الجديد

وإذ أشار صاحب المحلّ بيده، غلّت أصوات العازقين الأربعة تُصاحبُ عزفَ الآلات. إثنان فقط كانا يرقصان: امرأة تعمل في المحلّ ومعها الراقصُ المحترف.

وكانت الأجواء، ككلّ أمسية، تشيعُ انطباعاً بالخواءِ والشغور.
الصالة فسيحة جداً يُضاعف من اتساعها انعكاس المرايا التي
تغطي الجدران ولا يعترض مداها سوى عدد من المقاعد الحمراء
ورخام الطاولات الأكمذ.

بعد أن غادرتهما أديل، دنا الشابان أحدهما من الآخر.

- «إنها فاتنة!» قال جان شابو، أصغرهما سنّاً، بزرقةٍ أطلقها
وعيناه شبه المغمضتين تتبعان مشيتها المتراقصة.

- «ويا لمزاجها الشبق!» قال صديقه دلفوس وقد اتكأ على قبضة
عصا مذهّبة.

كان شابو فتى لا يتجاوز السادسة عشرة والنصف. أما دلفوس،
الذي كان أشد هزلاً ويبدو ضعيف البنية غير سوى القسمات، فلا
يتجاوز الثماني عشرة. إلاّ أنهما كانا من طراز أولئك الشبان الذين
لا يتوانون عن الاحتجاج بشدّة حيال أي تلميح أو غمز يتسأن
خبرتهما الطويلة في أمور الحياة وملذاتها..

- «هيه! يا فيكتور!...».

نادى شابو على النادل العابز بمحاذاته بتيء من الدالّة والألفة.

- «أتعرف الوافد الجديد؟».

- «لا! لكنه طلب الشمبانيا..».

وأضاف فيكتور غامزاً بطرف عينه.

- «أدبل تعتني به!».

وابتعد حاملاً صينيّته. صممت الموسيقى للحظات ثم صدحت

موسيقى فالس خافتة. كان صاحب المحل واقفاً قرب طاولة الزبون
الرصين يفتح قنينة الشمبانيا بنفسه ثم يربط فوطة بيضاء حول
عنقها.

- «أتعتقد ان المحل سيقفل في ساعة متأخرة؟ سأل شابو
هامساً.

- «في الثانية... أو الثانية والنصف فجراً، كالعادة!...».

- «انحتمي كأساً أخرى؟».

كانت معالم العصبية والتوتر يادية عليهما. وخصوصاً
اصغرها سنناً الذي كان يحدج من حوله على التوالي بنظرات ثابتة.

كانا يراقبان أدبل، قبالتهما تقريباً، تجلس الى طاولة الزبون
الغريب الذي طلب الشمبانيا. إنّه رجل على مشارف الأربعين،
أسود الشعر، داكن البشرة، كأنه روماني أو تركي أو شيء من هذا
القبيل. يرتدي قميصاً من الحرير الزهري. ويرتدين ربطة عنقه
بدبوس ذي فصّ لامع.

كان الرجل لا يبالي كثيراً بالراقصة التي كانت تصحبُ كلامها
بضحكاتٍ متتالية وقد مالت عليه. وعندما طلبت منه سيكارة، مدّ لها
علبة معدنية مذهبة دون أن يلتفت نحوها

مكث دلفوس وشابو صامتين. وراحا يرمقان الغريب بنظرات
احتقار أو عدم اكتراث. ومع ذلك فقد كانا يعلمان جيداً انهما
شديداً الإعجاب به! فلا يفوتهما تفصيلاً من حركاته. الطريقة التي
عقد بها ربطة عنقه، قصّة الطقم وحركاته المرهفة في احتساء كأس
الشمبانيا.

كان شابو يرتدي طقمأ جاهزاً، وينتعلُ حذاءً سبق للإسكافي أن
استبدل نعله مرتين على الأقل؛ أما ملابس صديقه فلم تكن لتلائم
مظهره برغم جودة القماش. ذلك أن دلفوس كان نحيل المنكبين،
مُقعر الصدر ويبدو جسمه في نحول جسم المراهق المثالي.

- «وافد آخر!».

كان الستار المخملي المُسدَل خلف الباب قد رُفع قليلاً. وبدأ
رجلٌ وهو ينزع قَبَعته ويعطيها للحاجب ويمكثُ للحظات عند الباب
وهو يجيل نظاره في أرجاء الصالة. كان ضخم الجثة، طويل القامة
على شيء من السمنة، ووجهه وديع الملامح. ثم دخل الى الصالة لا
يكترث للنادل الذي حاول أن يُشير عليه بركنٍ ملائم، ثم جلس الى
طاولة دون أن يُعنى كثيراً باختيار موقعها.

- «الديكم بيرة؟».

- «لا تقدّم إلا البيرة الانكليزية... صنف ستوت، شقراء
واسكتلندية؟...».

وهز الرجلُ كتفيه مُتسيراً بذلك الى ان الامر سيان لديه

ولم يُضف دخول الواصل الجديد أي تغيير ملموس على أجواء
الصالة الرتيبة، كما هي الحال في كل ليلة: رجل وامرأة يرقصان.
والجاز الذي يتناهى خافتاً ورتيباً بدا وكأنه جزء من سكون المكان.
أما ناحية البار فقد جلس زبون متأنق وقد انهمك بلعبة «بوكرة»
ثنائية مع صاحب المحل. ثم أديل ورفيقها الذي لا يكترث لها.

إنها أجواء ملهى ليلي في بلدة صغيرة.

في تلك الأثناء جاء ثلاثة رجال وبدأ أن السكر قد نال منهم وقفوا

عند الستار ورفعوه قليلاً. فهرع صاحب المحل لاستقبالهم، وبذل العازفون ما في وسعهم لاجتذابهم بلحنٍ صاخبٍ ومفاجيءٍ ولكنهم سرعان ما غادروا وسمعت ضحكاتهم مجلجلةً وهم يبتعدون.

كان الوقتُ ينقضي بطيئاً ويستبدُّ السأمُ بشابو وديفوس. وبدأ الإرهاق على ملامحهما فامتقع وجهاهما وبرزت دوائر الازرقاق حول أجفانهما.

- «أعتقد، هيا قل لي» سأل شابو هامساً، فلم يسمع رفيقه، لكنّه خَمَن السؤال.

لم يجب. فقط طقطقة الأصابع على رخام الطاولة.

كانت أديل التي مالت بجسمها على كتف الغريب تغمرُ صديقها الشابين بين الحين والآخر دون أن تبدل شيئاً من غنجها وتكفها.

- «فيكتور!»

- «أتغادران الآن؟ .. موعد آخر؟...»

وكلّما بالغت أديل في غنجها ازداد الرجلُ تجهماً، ربّما بسبب الإثارة.

- «ندفع غداً يا فيكتور، مع الباقي! لا نحمل الآن قطعاً نقدية صغيرة...»

- «حسناً أيّها السادة! عمتما مساءً!.. أخرجان من هنا؟...»

لم يكن الشابان ثملين. ومع ذلك خرجا من الصالة كما يخرج الهارب من كابوس، دون أن يريا شيئاً.

للهى الغيه مولان بابان. الباب الرئيسي الذي يفضي الى شارع

«بودوره. ومنه يدخل الزبائن ويخرجون. ولكن بعد الساعة الثانية فجراً، أي في الوقت الذي ينبغي أن يكون الملهى مقفلاً حسب تعليمات الشرطة، يستخدم الزبائن باباً خلفياً يُفضي الى رفاق ضيق معتم ومقفر.

اجتاز شايو ودفوس الصالة، ومراً من امام طاولة الغريب، ردًا تحية صاحب المحلّ بأحسن منها، ودفعاً باب المغاسل. وهناك مكثا لثوانٍ دون أن يلتفت أحدهما نحو الآخر.

- «إني خائف...» تمت شايو كان يرى نفسه في مرآة بيضوية الشكل. وكان الجاز المكتوم يتناهى الى مسامعهما.

- «هيا، بسرعة!» قال دلفوس وقد فتح باباً يفضي الى سلّم أسود حيث تسيطر طراوة رطبة.

كان ذلك مدخل القبو. درجات السلّم من الآجر. ومن الأسفل تنبعث رائحة حريفة لبقايا البيرة والتبيز.

- «ماذا لو جاء أحدٌ ما!».

كاد شايو أن يتعثّر لأن الباب انغلق بحركة ذاتية وحجب النور فجأة. تلمست يده الجدران المكسوة بملح البارود. لامسه جسمٌ غريب فارتعدت فرائضه لكنّه سرعان ما أدرك أنّه صديقه.

- «لا تحرك ساكناً!»، قال بلهجة أمر.

كانت الموسيقى غير مسموعة. ولكن يمكن للأذن أن تخمّن إيقاعها. إذ ترتجّ الصناديق الضخمة بجلبة تصاحبه. كان ذلك مجرد إيقاع يتردّد في الأجواء ويذكر بالصالة ويمقاعدها الحمراء،

وبالكؤوس التي تُرْفَع للأنخاب والمرأة ذات الرداء الزهري التي
تراقص رفيقها المتأنق في طقمه السموكنج

كان القبو يُشيع إحساساً بالبرودة. وأحسّ شابو بالرطوبة
تسري في أوصاله وكان عليه أن يتمالك نفسه عن العُطاس. تحسس
رقبته الباردة وكانت أنفاس دلفوس المتلاحقة تتناهي إليه حاملاً
عبق التبغ البارد

دخل أحدهم الى حجرة المغاسل. وفتح صنوبر المياه. ثم سمعت
قرعقة قطعة نقدية تُرمى في الصحن.

وكان هناك أيضاً تكتكة سماعة في جيب دلفوس.

- «أتعتقد أنه يمكن فتحه؟...».

قرصه رفيقه في ذراعه ليُسكته. وكانت أصابعه باردة.

في الطبقة العليا لا بد أن صاحب المثل قد بدا ينظر الى الساعة
كلّ دقيقة. فعندما تكون الصالة مزدحمة بالرواد وصبخهم كان
لا يبالي كثيراً بتجاوز الساعة القانونيّة وبما قد يرتبّه عليه ذلك من
مضايقات الشرطة. ولكن عندما تكون الصالة شبه مقفرة يُصبح
فجأة ملتزماً بالتعليمات.

- «أيها السادة، إنها ساعة الاقفال!... إنها الثانية بعد

منتصف الليل!».

كان الشبابان في الأسفل لا يسمعان شيئاً من كلّ هذا، ولكن في
استطاعتهما أن يُخمنّا مجريات الأمور لحظة بلحظة. أنهى فيكتور
جمع الفواتير وجلس بجانب صاحب المثل إلى البار مُنهمكاً في اتمام
حساباته، فيما كان العازفون يعيدون آلاتهم الى عُلبها، كما عمد

أحد الخدم الى تغطية الصندوق بنسيج حريري أخضر
خادم آخر، يُدعى جوزيف، راح يكُدّس الكراسي فوق الطاولات
ويجمع عنها منافض السجائر.

- «إنها ساعة الإقفال، أيها السادة!... هيّا يا أديل!... فلنسرع
قليلاً!...».

كان الحانّي رجلاً إيطالياً قويّ البنية أمضى سنّي عمره في العمل
كنادلٍ في بارات وفنادق كان ونيس وبياريتس وباريس.

وقع خطي في حجرة المغاسل. لقد أوصد الباب الذي يقضي الى
الزقاق. ويدير المفتاح فيه دورة واحدة دون أن ينزعه.

الن يوصد باب القبو، على جاري عادته، أو على الأقل، يُلقِي
نظرة خاطفة على موجوداته، للحظات لا تدير منه حركة. لا بدّ أنّه
انهمك بإصلاح مفرق شعره أمام المرأة. يسعل. ثمّ يسمع صرير
باب الصالة.

ما هي إلا خمس دقائق وينتهي كلّ شيء. يعمدُ الإيطالي في
اثنائها، وقد مكث وحيداً بعد أن غادر الجميع، الى إسدال الستار
الحديدي امام الواجهة وخرج الى الشارع قبل أن يحكم إقفال
المخرج الأخير.

والحال أنّ الايطالي لا يأخذ معه كلّ موجودات الصندوق.
يكتفي بحمل الأوراق النقدية من فئة الالف فرنك. أما الباقي فيدعه
في دُرج البار الذي يُمكن فتحه بضربة سكين.

أطفئت كل المصابيح.

*

* *

- «تعال!... همس صوتُ دلفوس».

- «ليس بعد... انتظر...».

لقد أصبحنا وحيدين في المبنى بأكمله ومع ذلك لا يزالان يتكلمان بصوتٍ خفيض. لا يستطيع أحدهما أن يرى الآخر. ويشعر كلُّ منهما أنه ممتنع الوجه، مشدود القسما، وقد يبس الجفأ شفتيه.

- «ماذا لو أنّ أحداً منهم لا يزال هنا؟».

- «أوتحسب أنني شعرتُ بالخوف يوم سقطت على خزنة والدي؟».

وبدا دلفوس عدوانياً متوعداً.

- «قد لا نجد شيئاً في الدرج».

أشبه بدوار. يشعر شابو بتوعكٍ من أفرط في الشراب. فيعد أن يدخل إلى هذا القبولم يعد يمتلك الجراءة على الخروج منه. لا بل شأنه أن يتهاك فوق درجات السلم ويجهش في البكاء.

- «هيا بنا!...».

- «انتظرا! ربما عاد أدراجه...».

انقضت خمس دقائق. ثم خمس أخرى لأن شابو يحاول جاهداً

كسب الوقت. ينتبه الى أن سيور حذائه محلولة فيربطها دون أن يرى شيئاً لأنه يخشى الوقوع والتسبب في جلبة ما.

- «لقد حسبتك أقل جيناً .. هيا! تقدمني...»

ذلك أن دلفوس لا يريد أن يكون أول من يخرج. ويدفع رفيقه بيديه المرتجفتين. باب القبو مفتوح. قطرات ماء تتسرب من صنوبر في حجرة المغاسل وتفوح منها رائحة الصابون والمطهرات.

يعلم شابو أن الباب الآخر، ذاك الذي يفضي الى الصالة، سيحدث صريراً. يتوقع هذا الصرير. ومع ذلك تجمّدت أوصاله.

في العتمة يبدو المكان قسيحاً كأنه كاتدرائية. شغورٌ فسيح. وما زالت أنابيب التدفئة تبتُّ دفقاتٍ من الحرارة الباهتة.

- «ضوء!...» همس شابو.

ويُشعل دلفوس ثقابة. يتوقفان قليلاً لاسترداد أنفاسهما وتقدير المسافة التي ينبغي عليهما اجتيازها. فجأة تسقط الثقابة فيما يُطلق دلفوس صرخةً مدويةً ويندفع في اتجاه باب المغاسل. لا يهتدي في العتمة اليه. فيتراجع الى الوراء ويرتطم بشابو.

- «بسرعة، هيا!... لتقادروا!...»

ويدا كلامه أقرب الى حشجة.

شابو، هو أيضاً، لمح شيئاً ما. إلا أنه لم يدرك ما هو... كأنها جثة ممددة على الأرض، قرب البار... شعر أسود كالح...

أصبحت عاجزين عن الحركة. علبه الثقاب على الأرض، ولكنهما لا يريانها.

- «علبة الثقاب!...»
- «لقد فقدتها...»
يرتطم أحدهما بكريتي. والآخر يسأل
- «أهذا أنت؟...»
- «من هنا!.. لقد اهتديت الى الباب...»
والماء يتسرّب من الصنبور. وصوت الماء المنساب. انها الخطوة
الأولى نحو الخلاص.
- «ماذا لو أشعلنا النور؟»
- «أجئنت؟...»
الأيدي تتلمّس، تبحث عن القفل.
- «انه قاس...»
وقع خطى في الشارع. فيمكنان بلا حراك. ينتظران. يسمعان
أطراف حديث:
- «... أنا أزعّم أن انكلترا لولم...»
تبتعد الأصوات. ربّما كان العابران دركيّين يناقشان بعض
الأمور السياسيّة.
- «هلاً فتحت؟»
ولكن دلفوس لم يعد قادراً على الاتيان بأي حركة. فقد أسند
ظهره الى الباب ووضع يديه فوق صدره اللاهث.
- «... لقد كان فاغر القم...» قال متلعثماً.

يفتح المزلاج. الهواء الطلق. انعكاسات مصباح بلدي فوق بلاط
الزقاق. تستبدّ بهما الرغبة في الركض. ولا يفكران حتى في إقفال
الباب.

ولكن هناك، عند المنعطف يبدأ شارع بون دافروي حيث
يُصادفان بعض المازّة. لا يجروا أحدهما على النظر الى الآخر.
ويشعر شابو بأن جسده أصبح فارغاً وأنه يؤدي حركات رخوة في
عالم مصنوع من القطن. حتى الأصوات الخارجيّة تنتهي إليه
وكأنها تصدر من مكانٍ بعيد.

- «أتعتقد أنه ميت؟... إنه التركي؟»

- «هو بالذات!... لقد عرفته... فمه القافر... وعينه...»

- «ماذا تقصد؟»

- «عين مفتوحة والأخرى مُغمضة.»

وفي صيحةٍ غيظ:

- «اشعر بالعطش!»

إنهما يسيران في شارع بون دافروي. كلّ المقاهي مغلقة.
والحانوت الوحيد الذي لم يقفل أبوابه بعد هو محلّ للأطعمة المقلية
حيث يجد الراغب كويماً من البيرة، أو طبقاً من بلح البحر أو فتائل
الرنكة بالخلّ بالإضافة الى البطاطا المقلية.

- «انقصد هذا المكان؟»

الطبخ في ملابسه البيضاء يوقد النار في فرنه وامرأة تأكل في
ركنٍ وتطالع الصديقين بابتسامة زاخرة بالوعود.

- «بيرة!... ويطاطا مقلية!... وطبقاً من بلح البحر!...» .
ويعد أن يلتها الوجبة الأولى يطلبان المزيد. إنها جائعان.
وجوعهما يفوق التصوّر. لقد احتسى كلُّ منهما على التوالي أربعة
أكوابٍ من البيرة!
لا ينظر أحدهما الى الآخر. ويأكلان بنهم. وفي الخارج، يسودُ
الظلام وحفنة من المازّة تسير بخطى عاجلة.
«كم الحساب أيّها النادل؟» .

رعبٌ جديد. أيملكان من المال ما يكفي ثمناً لعشائهما؟
«... سبعة زائد اثنين زائد خمسين سنتيماً زائد ثلاثة زائد
ستين سنتيماً زائد... ثمانية عشر فرنكاً وخمسة وسبعين
سنتيماً!...» .

وبالكاد تبقى لديهما فرنك واحد للبقشيش!
الشوارع. أبواب الحوانيت المقفلة. مصابيح الإنارة العمومية
ومن البعيد صدى خطوات دورية الحراس الليليين.

اجتاز الشاiban الجسر فوق نهر «الموزة» .
دلفوس يلزم الصمت، انظاره ثابتة امامه، شارداً الذهن عمّا
لقيامه من أحداث فلم ينتبه الى كلام صديقه الذي يجهد في
محادثته.

أمّا شابو، خشية أن يبقى وحيداً ورغبةً منه في إطالة أمد الرفقة
المطمئنة، فيتجّه نحو باب أحد المنازل البانخة، لا بل أحد أجمل
بيوت الناحية.

– «هلاً رافقتني لبعض الوقت...» سأل مُستجدياً

– «لا... إنني متوَعك...».

إنه التعبير الملائم. التوعك أصابهما معاً. ويرغم أن شابو لم يلمح الجثة إلا لثوانٍ، إلا أن الصور المرعبة لم تفارق مخيلته.

– «إنه التركي، أليس كذلك؟».

يسميانه التركي لأنهما لا يعرفان جنسيته بالضبط. دلفوس لا يجيب. أدخل مفتاحه في قفل الباب مُحاذراً أن يحدث أي جلبة. وسرعان ما يُفتح الباب على رواق عريض مزين بمشجبٍ من النحاس.

– «إلى الغد...».

– «في «البليكان»؟...».

إلا أن الباب أُغلق قبيل أن يحظى بالجواب. وها أصبحت الدرامة على أشدها. الوصول، بأي ثمن، إلى المنزل والاستلقاء فوق سريرهِ! وعندها الا تنتهي هذه الحكاية فصلاً؟

وهوذا شابو يقف وحيداً في الناحية المقفرة، يحث الخطى، يهرع، يتريث عند المنعطفات متردداً ثم ينطلق راكضاً كالمعتوه. ساحة الكونغريه، يهرب من الأشجار. ثم يبطيء السير لأنه رأى أحد المارة من بعيد. إلا أن العابِر المجهول يسلك اتجاهاً مختلفاً.

شارع لالوا. منازل من طبقة واحدة. عتبة.

يبحث جان شابو عن مفتاحه، يفتح، يدير مفتاح الإضاءة،

ويسير في اتجاه المطبخ ذي الباب الزجاجي، حيث لم تخدم نيران
الموقد كلياً.

ينبغي أن يعود أدراجه لأنه نسي أن يُفلق باب المدخل. البيت
دافئ. ويرى ورقة فوق غطاء الطاولة المشمع كُتبت عليها بالقلم
الرصاص هذه العبارات:

ستجد قطعة لحم في خزانة المون وقطعة من الكعك المحلّى في
خزانة الحائط. عم مساء.

الوالد.

يُجبلُ جان أنظاره في الأرجاء من حوله بشيءٍ من الدهول، تمّ
يفتح الخزانة فيرى قطعة اللحم التي اثارته لديه على الفور شعوراً
بالغثيان. وفوق الخزانة أصّ نبات صغير لشتلة خضراء أشبه
باللّين

ذلك أن العمة ماريا قد جاءت! وعندما تأتي، تحمل دائماً معها
نبتة ما. فممنزلها عند مرفأ سان ليونار يغصّ بأنواع النباتات
المختلفة. ولا تكفّ، علاوة على ذلك، عن اسداء النصح حول كيفية
رعايتها والاعتناء بها.

أطفأ جان النور. يصعد السلم بعد أن خلع نعليه. ويجتاز رواق
الطابق الأولى أمام أبواب غرف النوم.

في الطبقة الثانية غرف، واطمة السقف والرطوبة تنزمن السطح.
وحين وصل الى قرص الدرج سمع طقطقة سرير. لقد استيقظ
أحدهما. والده أو والدته. يفتح الباب.

لكن صوتاً يتناهى اليه بعيداً ومكتوماً.

- «أهذا أنت يا جان؟...».

هَيَّا! ينبغي أن يلقي تحية المساء على والديه. فيدخل الى
غرفتهما: هواؤها رطبٌ مفعمٌ بأنفاس النائمين. إذ لا بدّ أنهما تاما
منذ ساعات طويلة.

- «لقد تأخرت، اليس كذلك؟...».

- «ليس كثيراً..».

- «كان ينبغي...».

لا! لا يجرؤ والده على تأنيبه. أوريما أحس أن كلامه لن يجدي
نفعاً.

- «عم مساءً، يا بني...».

ينحني جان ويقبل جبيناً رطباً.

- «وجهك بارد... أنت...».

- «الطقس بارد قليلاً...».

- «هل وجدت قطعة اللحم؟... العمة ماريا هي التي أحضرت
الكعك المحلى...».

- «لقد أكلت في الخارج، برفقة أصدقاء..».

تستدير أمه دون أن تستيقظ تماماً وقد غطى شعرها الوسادة.

- «عم مساءً...».

يشعر أنه على حافة الانهيار. يدخل الى غرفته ولا يشعل النور.

يرمي سترته كيفما اتفق ويستلقي على سريره ويدسُّ رأسه في الوسادة.

انه لا يبكي. لما استطاع أن يبكي بأية حال. يحاول استرداد أنفاسه. أطرافه ترتجف بقوة ورعشات عنيفة ألمت بأوصاله كأنه أصيب بحمى مفاجئة.

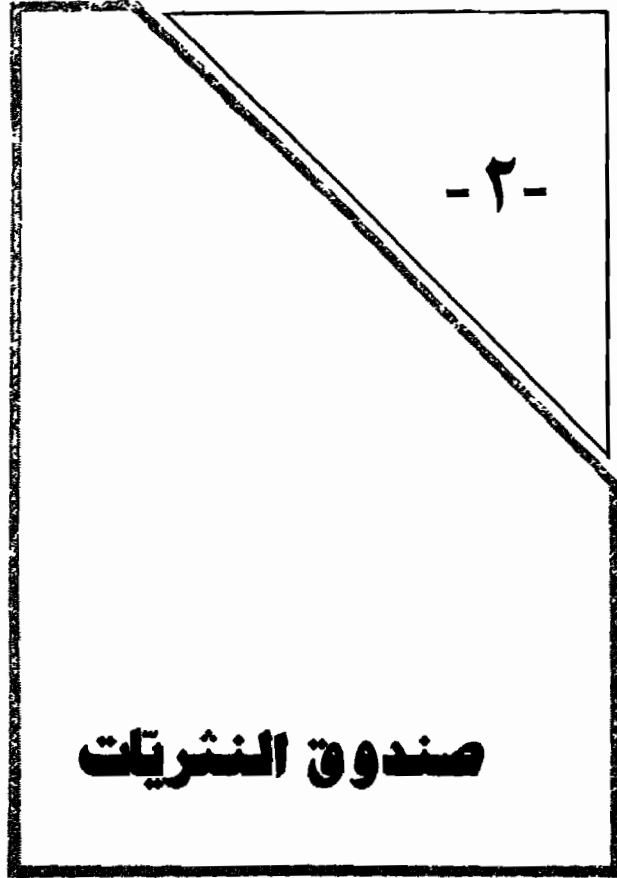
كم يؤدُّ أن لا ترجُ رعشته مفاصل السرير. وكم يؤدُّ أن يتمالك نوبة القواق التي يشعر انها تطبق على خناقه. ذلك أنه يدرك جيداً ان والده النائم في الغرفة المجاورة، يُغالبُ نعاسه ويصغي بانتباه.

صورة واحدة تتعاطم في رأسه، وكلمة واحدة، تنتفخ وتتخذ حجماً مرعباً وتكادُ تسحقه تحت ثقلها: التركي!..

العالم يدور، ويثقل ويرمي بوطأته عليه ويعنصره من كل صوب حتى يتسرب شعاع الشمس من كوة السقف فيما والد جان الواقف قرب السرير يهمسُ بنبرة يريدهُ ألا تكون شديدة القسوة:

- هينبغي ألا تفعل ذلك يا بني!... لقد أفرطت في الشراب، اليس كذلك؟... حتى أنك لم تخلع ثيابك!...

وروائح القهوة والبيض المقلي بالسمن تتصاعد من الطبقة السفلى. شاحنات تعبر الشارع. أبواب تصفق. وديك يصيح.



أبعد جان شابو الذي جلس مُرتفقاً الطاولة ، طبقه بحركة استيلاء
وراح يُحدِّق شاخصاً في الفناء الخارجي الضيق الذي يُرى من
خلال تخاريم الستائر المسدلة، والذي تعكسُ جدرانَه المطلية
بالكسِ القى الصباح المشمس.

كان والده يراقبه خلسةً دون أن يكفُّ عن تناول طعامه محاولاً
أن يخلتق موضوعاً للمحادثة.

- «الا تدري ما مقدار الصّحة في الأقوال التي تتردّد في هذه
الأونة والتي تزعم أنّ العمارة الضخمة في شارع فيرونستريه
ستُعرض للبيع؟ لقد سألتني أحدهم بالأمس في المكتب حول صحّة
هذا الامر. ربّما ينبغي أن تسأل...».

إلا أن السيّدة شابو التي كانت هي أيضاً تراقبُ ابنها دون أن
تكفُّ عن تحضير الخضار للحساء، قاطعت الأب قائلةً:

- «ما الامر، لماذا لا تأكل؟».

- «لستُ جائعاً يا امي».

- «لأنك أفرطت في الشراب ليلة أمس، أراهنك على ذلك! هيا

اعترف!».

- «لا» -

- «أوتحسب أن الأمر يخفى علينا! عينك معتكرتان وحمراوان! وسحتنتك بلون الورق الممضوغ! لذلك ينبغي أن نبذل المستحيل لكي تستعيد قواك هياً! كُل البيض على الأقل...».

وما كان جان ليستطيع ابتلاع لقمة واحدة ولو مقابل كل ثروات العالم. كان يشعر بضيق يعتصر صدره. أما لجوء المنزل الوداعة وروائح السمن والقهوة والجدار الأبيض والحساء الذي يغلي على النار، كل هذه الأشياء كانت تثير لديه إحساساً أقرب إلى الغثيان.

أراد أن يغادر المنزل بسرعة، مُتلهفاً لمعرفة الحقيقة وكان يرتعد لكل جلبة تنتهي إليه من الشارع.

- «يجب أن أغادر» -

- «لا يزال الوقت باكراً. لقد كنت برفقة دلفوس، ليلة أمس، اليس كذلك؟.. ولماذا لا يأتي الآن ليصحبك! .. انه ولدٌ متبطل لأنه من أسرة ترية!... رذيل!... وليس مجبراً على النهوض باكراً للذهاب الى عمله».

كان السيد شابو صامتا يتناول طعامه مُطرقاً لكي لا يضطر إلى الاشتراك في نقاشهما. هبط أحد نزلاء الطبقة الأولى، إنه طالب بولندي، واجتاز الردهة مباشرة الى الشارع في طريقه الى الجامعة. وسمع آخر وهو يرتدي ملابس في الغرفة التي تقع مباشرة فوق المطبخ.

- «سترى جيداً يا جان أن العواقب ستكون وخيمة! إسأل والدك إذا كان يفرط في الشراب في سنك!».

وبالفعل كانت عينا جان شابو معتكرتين حمراوين، مُتعب
القسمات وبدت بثرة حمراء في أعلى جبينه.
- «إني ذاهب!» رَدَدَ قائلاً بعد أن نظر الى ساعته.

وفي تلك اللحظة بالذات سمعت ضربات خفيفة على صندوق
البريد المثبت على باب المدخل. وكانت تلك طريقة المقرّبين في قرع
الباب، أما الجرس فيستخدمه الغرباء. هرع جان لفتح الباب
قطالعه دلفوس الذي سأله:

- «ألن تأتي؟»

- «بلى... أمهلني قليلاً لأحضر قَبّعتي...»

- «ادخل يا دلفوس! صرخت السيّدة شابو من المطبخ. في الوقت
المناسب، لقد كُنْتُ أقول لجان إنّ الأوان قد حان لتكفّنا عن هذه
الأمور! إنه يفسد صحته! ان تكون مُضراً على السهر كلّ ليلة أمر
لا يعني سوى والديك. أمّا جان...»

وقف دلفوس بقامته المديدة الناحلة وسحنته الأشد شحوباً من
سحنة شابو، مُطرقاً وقد افتترت شفثاه عن ابتسامته ضيق.

- «لا يستطيع جان إلا أن يعمل! فنحن لا نملك ثروة! واعتقد
أنتك على قدر من الذكاء الكافي لتفهم ولذلك أطلب إليك أن تدعه
وشأنه.»

- «هلاً ذهبنا؟... همس جان الذي أخرجته كلام أمه.

- «أقسم لك يا سيّدي أننا... غمغم دلفوس.

- «في أي ساعة عدتما الى المنزل في الليلة الفائتة؟»

- «لا أعلم... ربّما عند الواحدة بعد منتصف الليل...»

- «لقد أقرّ جان أن الساعة كانت قد تجاوزت الثانية فجراً!».

- «لقد حان موعد زهابي الى المكتب يا أمّاه...».

كان قد اعتمر قبعته ودفع دلفوس أمامه الى أن غادرا الرواق.
وعندئذٍ نهض السيد شابو بدوره، وارتدى معطفه.

في الخارج كان الشارع كسائر شوارع مدينة «لييج» في مثل ذلك الوقت من أوقات الصباح، مزدحماً بريّات البيوت اللواتي يغسلن الرصيف أمام أبوابهن بالمياه المتدفقة، ويعربيات الخضار والفحم المتوقفة أمام البيوت، فيما تتناهى أصوات الباعة الجوالين من بعيد، تتردّد من أقصى الناحية الى أقصاها.

- «ماذا حدث؟...».

كان الشابان قد انعطفا عند ناصية الشارع، وأصبح بإمكانهما أن يعبّرا عن قلقهما.

- «لا شيء!... صحيفة هذا الصباح لم تذكر شيئاً عن الأمر!...
ربّما لم يعثر بعدُ على...».

كان دلفوس يعتمر طاقية طالب عريضة. ففي تلك الساعة من كلِّ يوم كانت أعداد كبيرة من الطلّاب تسلك الطريق نفسه في اتجاه الجامعة، كأنهم يجتازون جسر نهر «السوّز» في موكبٍ حاشد.

- «والدتي غاضبة جدّاً... وتضع اللوم عليك أنت بالذات...».

كانا يجتازان ساحة السوق، يتسلّان بين سلال الخضار والفاكهة ويدوسان في طريقيهما أوراق الكرنب والخس وكانت نظرات جان ثابتة.

«ولكن قل!... بشأن المال؟... لقد أصبحنا في الخامس عشر من...».

ثم انتقلا الى الرصيف المقابل لأنهما عبرا من امام بائع السكاكر الذي يدينان له بنحو خمسين فرنكاً.

«أعلم جيداً... لقد تفقدت هذا الصباح محفظة والدي... ولم أجد فيها سوى أوراق نقدية من فئات كبيرة...».

وأردف دلفوس هامساً:

«لا تُشغل بالك... بعد قليل سأقصد متجر عمي، في شارع ليوبول... فهم في العادة يتركونني وحيداً في المتجر لبعض الوقت...».

كان جان يعرف المتجر جيداً، انه اكبر متاجر الشوكولاتة في «لييج». وطالعه صورة صديقه وهو يدسُ يده في دُرَج الغلّة.

«متى أراك؟».

«سأنتظرك عند الظهر».

كانا قد وصلا الى عتبة مكتب لويست، الكاتب بالعدل، حيث يعمل شابو. وتصافحا دون أن ينظرا أحدهما الى الآخر، وأحسّ جان بشيء من الضيق كأن مصافحة صديقه لم تكن هي المعتادة.

والحقيقة أنهما أصبحا الآن شريكين في جُرم واحد!

كان جان يستخدم طاولة في الردهة الخلفية من مكتب لويست. إذ يقتصر عمله، وهو الأحدث عهداً من بين الموظفين، على لصق

الطوابع البريدية على المغلفات وتنسيق البريد والقيام بالمشتريات المختلفة من سوق المدينة.

وفي ذلك الصباح كان يعمل صامتاً، لا يلتفت الى أحد، كأنه يرغب في أن لا يثير انتباه أحد، خصوصاً مساعد الكاتب الأول، وهو رجل على مشارف الخمسين، صارم السحنة والمظهر، ويعمل تحت إشرافه مباشرة.

عند الحادية عشرة كانت الأمور لا تزال تسير على جاري عاداتها، ولكن قبل موعد الظهر يقليل دنامنه مساعد الكاتب الأول.

- «الديك حسابات صندوق التثريات، يا شابو؟».

وكان شابو، منذ ساعات الصباح الأولى، يحاول اختلاق جواب مقنع فأسمعه إيّاه عن ظهر قلب دون أن يجرؤ على النظر اليه.

- «اعذرني يا سيد هوسي، لقد بدّلت ملابسي هذا الصباح ونسيت دفتر الحسابات والمال في البيت. سأعطيك الحسابات بعد الظهر...».

كان ممتقع اللون، الأمر الذي جعل مساعد الكاتب يسأله بشيء من الاستهجان.

- «هل أنت مريض؟».

- «لا... لا أدري... ربما كنت متوعكاً بعض الشيء...».

وصندوق التثريات، كان عبارة عن حساب خاص في المكتب، يشمل المصاريف الضرورية للطوابع البريدية والبريد المضمون، وكلّ المصاريف اليومية التثرية، وكان جان يؤتمن على مبلغ معين من المال مرتين في الشهر، في الخامس عشر والثلاثين من كلّ شهر،

على أن يدون كلّ المصاريف الطارئة في دفتر خاص
كان الموظفون يغادرون. وراح الشاب الواقف عند عتبة المكتب
يبحث عن دلفوس بعينه، ولم يلبث أن رآه يقرب واجهة دكان
السكاثر، وهو يدخنُ سيكارة ذات فلتر مذهب.
- «إذاً؟» -

- «لقد سدّد حساب التبغ!» -

سارا جنباً الى جنب.

كانا في أمسّ الحاجة للإحساس بأن حشد المازة يحوطهما
وينسابُ بمحاذاتهما.

- «هيا بنا الى الـ «بيليكان». لقد قصدتُ متجر عمّي. ولم أمكث
هناك أكثر من بضع ثوان. قدسست يدي داخل الدُرَج... ودون أن
أتمدّد ذلك... نلتُ أكثر بكثير مما أردت...» -

- «كم؟» -

- «نحو الألفين...» -

ذهل شابو لضخامة المبلغ.

«خذ، هذه ثلاث مئة فرنك لصندوق النثریات. وسنقسم
الباقی.» -

- لا، ابدأ!» -

كان كلُّ منهما مضراً على موقفه، والفارق الوحيد هو أن إصرار
دلفوس كان يشي بنبرة توعد.

- «إنه أمر طبيعي! ألم نقتسم الأشياء كلّها من قبل؟» -

- «لا أحتاج هذا المال».

- «ولا أنا».

حين مرّا بأحد المباني شخصت عيناهما من تلقائهما في شرفة حجرية عند الطبقة الأولى. إنها الغرفة المفروشة التي تقيم فيها ادبل، راقصة الـ «غيه مولان».

- «ألم تمرّ بتلك الناحية؟».

- «لقد سلكت شارع بودور... كانت الأبواب مفتوحة، شأنها في كلّ صباح... وكان فيكتور وجوزيف يكتسان...».

تسبك جان أصابع يديه ولواها بشدّة فأحدثت طقطقة.

- «ومع ذلك تقول إنك رأيته فعلاً، ليلة أمس، اليس كذلك؟...».

- «أنا واثق مما أقول، إنّه التركي!»، ردّد دلفوس مُرتعداً.

- «ألم تلمح رجال الشرطة في الجوار؟».

- «لا شيء! الأمور كلّها عاديّة... وعندما رأني فيكتور ناداني وألقى عليّ تحية الصباح...».

دخلوا الى الـ «بيليكان» وجلسوا الى طاولة بمحاذاة الواجهة الأمامية، وطلبوا كوبيين من البيرة الانكليزية. ثمّ لم يلبث جان أن رأى أحد رواد المقهى جالساً قبالتة.

- «لا تلتفت... انظر في المرآة... لقد كان في الليلة الفائتة في...».

تعلم جيّداً ماذا اقصد...».

- «البدين!... بلي، عرفته.».

كان ذلك آخر زبون دخل الى الـ «غيه مولان»، الرجل البدين

قوي البنية الذي احتسى البيرة.

- «من المؤكد أنه ليس من أهل «لييج»».

- «إنه يدخن سكاثر فرنسية. انتبه! إنه يراقبنا».

- «أيها النادل! نادى دلفوس. كم الحساب؟ كان لك بدمقتنا نحو اثنين وأربعين فرنكاً على ما أظن؟».

اعطاه ورقة نقدية من فئة المئة، وحرص على أن يظهر له حزمة الأوراق الأخرى.

- «تناول شرباً على حسابنا!».

كانا لا يشعران بالأمان أينما حلّا. لم يمضِ عليهما وقت طويل حتى غادرا مواصلين سيرهما ويدفع القلق بشابو للالتفات الى الوراء.

- «الرجل يتعقبنا! إنه وراعنا بأية حال...».

- «أصمت! إن كلامك يثير فيّ الذعر. وما الذي يدفع رجلاً مثله لتتعبنا؟».

- «لا بدّ أنهم عثروا على... الـ... التركي .. أو ربّما لم يمت...».

- «أرجوك أصمت!» أنبه دلفوس بنبرة تزداد قسوتها.

سارا ثلاث مئة متر صامتين.

- «أعتقد أنّه ينبغي أن نذهب الى هناك هذه الليلة؟».

- «بالطبع! ذلك أن تغيينا الليلة قد يثير الشبهات...».

- «ولكن قُل، ألا تعتقد أن أديل قد تعلم شيئاً ما بهذا الشأن؟».

كان جان متوتر الأعصاب. لا يعرف الى أين ينظر أو ماذا يقول.
لا يجروُ على التلفت ويشعر بأن الرجل ذا المنكبين العريضين
ما زال يعتقبهما.

- «إذا عبّر الجسر خلفنا، فهذا يعني أنه يتعقبنا!».

- «هل أنت عائد الى البيت؟»

- «ينبغي أن أعود... فوالدتي حانقة...».

كان يشعر برغبة في البكاء، هناك، وسط الشارع.

- «إنه يعبر الجسر... ترى جيداً أنه يتعقبنا!...».

- «اصمت!... الى اللقاء هذه الليلة.. لقد وصلت...».

- «يا رينه!».

- «ماذا؟...».

- «لا أريد أن أحتفظ بكل هذا المال... إسمع!...».

ولكن دلفوس دخل الى بيته غير مبالي بكلام صديقه. راح جان
يبحث الخيطى ناظراً الى الواجهات الزجاجية للتثبت من أن الرجل لا
يزال يتعقبه.

بات الأمر مؤكداً إذ وجد الرجل في أعقابه مُتقللاً بين الشوارع
الهادئة لضاحية المدينة التي تقع على الضفة الثانية من نهر
«الموز». وعندما أدرك ذلك خارت ساقاه. وكاد أن يقف في مكانه
لشدة إحساسه بالدوار. إلا أنه، على العكس من ذلك، مشى بسرعة
أكبر كأنّ الخوف الذي السّم به يدفعه الى الأمام بقوة.
وعندما وصل الى المنزل سألته أمّه:

- «ما بك؟».

- «لا شيء...».

- «تبدو شاحباً... لا بل تبدو مكفهراً...».

وينبيرة غضب.

- «إنه أمر جميل، أليس كذلك؟... في مثل سنك. وتعرض نفسك

لمثل هذه المواقف!... أين تسكعت هذه الليلة؟... ورفقة من؟...»

أكد لا أقهر سلوك والدك الذي لا يستطيع أن يكون صارماً معك...»

هيا! كل...».

- «لست جائعاً».

- «الآن أيضاً؟».

- «دعيني يا أمي لو سمحت... أشعر بأثني لست على ما

يرام... ولا أدري ما يصيبيني...».

إلا أن نظرات السيدة شابو الحادة لم ترق لحاله. إنها امرأة

قصيرة القامة، صارمة وعصبية المزاج، كثيرة الانهماك ليلاً ونهاراً.

- «إذا كنت تشعر بتوتك، فاستدعي الطبيب.

- «لا أرجوك...».

وقع أقدام على الدرج. ولا يلبث أحد الطلاب أن يُطل برأسه عبر

باب المطبخ المفتوح. وبعد أن نُقر الباب بضربات خفيفة، طالعهما

بسُحنة قلق متوجسة.

- «يا سيّدة شابو، اتعرفين الرجل الذي يتنزّه في الشارع أمام

الباب؟».

كان يتكلم بلكنةٍ سلافية واضحة. وبدت عيناه متوقدتين إذ من عاداته أن يضطرب لأتفه الأسباب

كان قد جاوز السنَّ المعتادة لمتابعة الدروس الجامعية. إلا أنه يُصِرُّ على تسجيل نفسه في إحدى الكليات دون أن يواظب على متابعة الدروس.

وما يُعرفُ عنه أنه من أصل جيورجي وأنه كان مناضلاً سياسياً في بلاده. ويزعم أنه من طبقة النبلاء.

- «أي رجل يا سيد بوغدانوفسكي؟»

- «تعالى...».

واقادها الى ردهة الطعام التي تطلُّ نافذتها على الشارع.

تردّد جان قليلاً قبل أن يلحقهما. إلا أنه لم يلبث أن تبعهما هو أيضاً.

- «إنه يقف هناك منذ ربع ساعة تقريباً يذرع الشارع جيئةً وذهاباً... مثل هذا الأمر ليس غريباً علي!... من المؤكّد أنه أحد رجال الشرطة...».

- «لا، أبدأ! اجابت السيّد شابو بنيرة تفاؤل. أنت ترى رجال الشرطة في كلّ مكان! انه، ببساطة، شخصٌ ينتظر شخصاً آخر تأخر عن مواعده...».

ولم يحلّ جوابها دون أن يحدّجها الجيورجي بنظرات ارتياب، ثم غمغم بكلمات في لغته الأمّ وصعد الى غرفته. أما جان فقد عرف الرجل ذا المنكبين العريضين.

– «وانت، تعال لتأكل! ولا تختلق الأعذار، اسمعت؟ وإلا إذهب فوراً الى سريرك ريثما أستدعي طبيباً...».

ليس من عادة السيد شابو أن يعود الى البيت ظهراً. وكان جان ووالدته يتناولان طعام الغداء في المطبخ، حيث لا تجلس السيدة شابو لحظة واحدة، بل تواصل انهماكها وحركتها الدائمة بين الطاولة والفرن.

وبينما يُحاول جان ابتلاع بعض الطعام مُطرقاً، كانت تراقبه بعينين يقظتين، ثم انتبهت فجأة الى شيء ما في ملابسه.

– «من أين لك ربطة العنق هذه؟»

– «لقد... إنه رينيه، هو الذي اعطاني إياها...».

– «رينيه، دائماً رينيه. وانت، ألا تمتلك ذرة من الاعتزاز بالنفس؟ كم أخجلُ لحالك! أناس أثرياء ريثما، لكنهم ليسوا من ذوي السمعة الطيبة! حتى أن والديه يعيشان سوياً من دون زواج...».

– «يا أميمتي!».

في العادة كان يناديها: يا أمي. إلا أنه أراد أن يخاطبها متوسلاً. فقد طُفح به الكيل. انه لا يريد شيئاً، سوى بضع ساعاتٍ من الهدوء يقضيها بسلام في البيت الذي يحيا فيه. كان يتخيل صورة الرجل الذي ينتظر قبالة الباب، بمحاذاة سور المدرسة التي أمضى فيها أولى سنوات تعليمه.

– «لا يا بُني! لقد سلكت أسوأ السبل، وما أنا أحدرك من العواقب! لقد أن لك أن تبدل ما أنت فيه، إذا أردت أن لا يحط بك الدهر كما حط الدهرُ بعمك هنري...».

كان ذلك اثنى بكابوس، إصرارها على تذكيره بالعم الذي يُصادفه أحياناً مُتعتاً من السكر، أو يراه في أحيان أخرى مُعتلياً سُلماً وقد شرع بدهن واجهة أحد البيوت.

- «مع أنه أتمّ مراحل تعليمه! وكانت شهادته تؤهله للحصول على أي منصب...».

نهض جان قبل أن يُكمل مضغ طعامه وخطف قُبعتة عن المشجب وغادر مُسرِعاً.

بعض الصحف في «ليبج» تصدر في طبعات صباحية، إلا أن الصحف المهمة تصدر في طبعة أساسية عند الثانية من بعد ظهر كل يوم. سار شابو في اتجاه وسط المدينة وقد غشيت حواسه غلالة مشرقة بأشعة الشمس، كأنّ أبصاره زائغة لا ترى، وما إن عبر الجسر حتى أيقظه صراخ البائع:

- «أطلبوا «لا غازيت دوليبج»!... «لا غازيت دوليبج» التي صدرت الآن... الجثة في حقيبة القنب!... تفاصيل مُرعبة... أطلبوا «لا غازيت دوليبج»!...».

بقريه، على بُعد مترين، كان الرجلُ العريض المنكبين يشتري الصحيفة. وبعثاً فتش جان في جيبه عن قطع نقدية صغيرة بين الأوراق النقدية التي كان قد دسّها فيه دون أن يطويها. وعندئذ تابع طريقه، وعلى بُعد خطوات دقع باب المكتب حيث وجد الموظفين هناك في كامل عددهم.

- «خمس دقائق تأخير، يا سيّد شابو! قال المساعد الأوّل مؤنباً. ليس بالكثير، ولكنّ الأمر يتكرّر...».

- أرجو المَعذرة.. إنها الحافلة التي...لقد أحضرت لك أمانة
النثرِيَّات...».

كان يشعر بأنَّ سحنته ليست هي سحنته المعتادة. كأنَّ حريقاً
يلهبُ وجنتيه وتنبضُ حدقاته بوخزٍ مؤلم.

راح السيّد هوسيه يقلبُ صفحات الدفتر ويدقق في مجموع
الحسابات المدوّن أسفل كل صفحة.

- «الباقى مئة وثمانية عشر فرنكاً ونصف الفرنك. اليس
كذلك».

وانتبه جان فجأةً الى أنّه لم يستبدل ورقة المئة فرنك بقطع
أصغر منها. وسمع المساعد الثاني يحدث السكرتيرة عن حقيبة
القنّب.

- «غرافوبولوس. أهو اسم تركي؟».

- «يبدو أنه يوناني...».

كان الطنين يصمُّ أذني جان. وسحب من جيبه ورقتين من فئة
المئة فرنك. فأشار السيد هوسيه الى شيء سقط من جيبه على
الأرض: ورقة ثلاثة من فئة المئة فرنك.

- «يبدو لي أنّك تستخفُّ كثيراً بالمال. الا تملك محفظة جيب؟».

- «أرجو المَعذرة...».

- «لو يراك الأستاذ كيف تدسُّ الأوراق النقدية في جيبك... ولكن
لا بأس! احتفظ بالمبلغ المتبقي... وعندما ينفذ منك المال، اصرف لك
مبلغاً آخر... والآن عليك أن تعرّج على مكاتب الصحف المحليّة

لتسليم هذه الإعلانات الرسمية... إنها أمور مستعجلة! وينبغي أن
تصدُر صباح الغد....

التركي! التركي! التركي!...

وما أن أصبح في الخارج، اشترى جان نسخة من الصحيفة،
ومكث لبعض الوقت بين فضولين سارعوا الى شراء نسخهم، ريثما
يُرد له البائع البقية. ثم سار منكياً على قراءة الخبر ومتعثراً بالمارة:

سرّ حقيبة القُب

«هذا الصباح، نحو التاسعة، وبما كان حارس حديقة
الحيوانات يتهيأ لفتح الباب فوجيء بحقيبة ضخمة الحجم
ومصنوعة من الياف القنب، وقد تركت فوق إحدى المروج المكسوة
بالعشب. وحاول الحارس أن يفتحها فلم يتمكن من ذلك، فقد كانت
الحقيبة مغلقة بوساطة حزام معدني مثبت بقفل متين.

«ولمّا عجز عن فتح الحقيبة استدعى الشرطي لوروا، الذي ابلغ
مدوره كوميسير الشرطة في الفرقة الرابعة.

«ولم يتم فتح الحقيبة إلا عند الساعة العاشرة بعد استدعاء
صانع أفعال محتص وكان في داخلها ما اثار فضول المحققين!

«جثة مكومة على نفسها، ولم يتوان الفاعل عن كسر فقرات الرقبة
لكي يتسع لها داخل الحقيبة

«صاحب الجثة رحل على متساريف الاربعين بيدو اجنبياً، ولم
يُعثر في جيوبه على محفظة اوراقه. ويعد البحث عثر في جيب
صدريته على بطاقات زيارة تحمل اسم إفرابيم غرافويولوس.

«ولا بدّ أنّ المغدور قد وصل حديثاً إلى «لييج» إذ لم يُعثر على
اسمه في سجلات قيد الأجانب أو سجلات فنادق المدينة.

«ولن يعدد الطبيب الشرعي الى تشريح الجثة إلا بعد ظهر اليوم، ولكنَّ التقديرات الأولية ترجِّح أن الوفاة حدثت خلال الليلة المصرية وأن الفاعل استخدم أداة ثقيلة جداً قد تكون هراوة من الماطط الصلب، أو قضيباً حديدياً أو كيس رمل أو عصا بمقبض من رصاص.

«وسننشر في طبعتنا التالية كلَّ تفاصيل هذه القضية المثيرة».

كان جان منكباً على قراءة النبا حين وصل الى شبَّك الحاسبة في صحيفة «لا موز»، حيث سلَّم الاعلانات الرسمية ومكث قليلاً ريثما يُحزَّر له وصل استلام.

كانت المدينة تزدهم بحركة السيارات والمارة، تحت أشعة الشمس. فقد كانت تلك هي آخر أيام الخريف وبدأ العمل على أرصفة الجاذات في انشاء الاكشاك المتنقلة في انتظار «الكروم» الكبير الذي يُقام في شهر تشرين الأول/ اكتوبر.

وعبثاً حاول أن يعثر على اثرٍ للرجل الذي تعقبه طيلة فترة الصباح. وإذ مرَّ امام واجهة الـ «بيليكان» ألقى نظرة على الداخل للتثبت من أن دلفوس، الذي لا يكون في الجامعة بعد ظهر ذلك اليوم، ليس موجوداً هناك.

وبدل أن يتابع سيره قدماً قام بدورة أطول عبر شارع بودور. كانت أبواب الـ «غيه مولان» مفتوحة، والصاله غارقة في العتم ولا يُرى فيها إلا نسيج المقاعد الاحمر. وكان فيكتور منهمكاً برش الزجاج بالماء وغسله، فحث شابو خطاه ليتوارى قبل أن يراه أحد.

وعرَّج على صحيفة «اكسبرس» وصحيفة «جورنال دولييج»... فتنته شرفة أديل. تردَّد قليلاً. لقد زارها مرَّة واحدة من قبل، منذ

شهر تقريباً. أقسم له دلفوس أنه كان عشيقها لبعض الوقت ولذلك قرع بابها عند الظهر متذرعاً بحجةٍ سخيّةٍ فاستقبلته في قميصٍ شفافٍ وواصلت تبرّجها وهي تتحدّث إليه كما تتحدّث عادةً الى صديق مقربٍ.

لم يحاول التحرّش بها. إلا أن هذا لم يقلّل شيئاً من غبطته للحميميّة التي سادت جلستهما.

دفع باب الطبقة السفلية، قرب متجر البقالة، وصعد السلم المعتم وقرع بابها.

في البداية لم يسمع من الداخل جواباً. ولكن، بعد قليل، سمع صوت أقدامٍ متعترّة. وفتح الباب فنفضت منه رائحة سبيرتو قوية.

- «هذا أنت! لقد حسبتُ أنه صديقك!».

- «لماذا؟».

كانت أدبيل قد عادت ادراجها نحو السخّان المُنكّل الذي وضعت عليه كاوي الشعر.

- «لا أدري! مجرّد خاطرة! اغلق الباب بسرعة! هناك مجرى هواء قوي...».

في تلك اللحظة، أحسّ شابو برغبةٍ في أن يُسرّ إليها بكلّ شيء، أن يروي لها تفاصيل ما جرى، ويسألها النصيح، علّه يجد العزاء المُرتجى لدى تلك المرأة ذات العينين المتعبتين والجسد الرخيص، ولكن المُشتهى، تحت القميص: تلك المرأة ذات الخفين من

الساتان الأحمر، تنتعلهما وتجرّ قدميها الرقيقتين في أرجاء الغرفة التي تعمها الفوضى.

فوق السرير الغارق في فوضى الأغطية رأى نسخةً من صحيفة «لا غازيت دوليج».

- ٣ -

**الرجل العريض
المنكبين**

كانت قد نهضت للتو من نومها، ووضعت قرب السخان علباً من الحليب المركز.

«الم يأت صديقك برفقتك؟» ألحّت في سؤالها.
فامتقع وجه شابو لسؤالها وأجابها بنبرة حانقة.
- «ولم ينبغي أن يكون برفقتي؟».

لم يستوقفها تبدل نبرته وفتحت الخزانة وأخرجت منها قميصاً من الحرير المزركش.

- «أصحح أن والده من كبار رجال الصناعة؟»

كان جان لا يزال واقفاً، ممسكاً بقبعته، يحَدِّجها في حركتها المتواصلة أمامه، بنظراتٍ تنمّ عن مشاعر مشوشة حيث تمتزج الكتابة والرغبة ونظرة الإثارة الغريزية للمرأة والاحساس العميق بالقنوط.

لم تكن جميلة، خصوصاً في قميصها المجعوكِ وخُفي الساتان. لكنّها بدت في عينيه أشدّ فتنةً، ومفعمةً بتلقائية حميمة. أكانت في الخامسة والعشرين من عمرها، أو في الثلاثين ربما؟ ولكن من

الواضح أنها خبِرت الحياة جيّداً. كانت غالباً ما تتحدّث عن باريس وبرلين وأوستاند وتذكر، في معرض حديثها، أسماء لملاهٍ ليلية شهيرة.

وكانت تفعل ذلك دون حماس أو استعلاءٍ أو تباه. بل على العكس، فكّل ما في طبعها ينمّ عن عياءٍ ظاهر ومللٍ تقضّحه نظرات عينها الخضراوين، وتقضّحه طريقته الرشيقة في حمل سيجارتها بين شفّتيها وحركاتها وابتساماتها.

- «ماذا يصنع؟»

- «الدرّاجات.»

- «إنه أمر مضحك! لقد عرفتُ في سان إتيان صانعاً آخر للدرّاجات. كم عمره؟...»

- «الأب؟»

- «لا، رينه...»

ازداد عيوسه حين سمع الاسم مجدّداً.

- «ثمانية عشر عاماً...»

- «أراهن أنه فتى مهتك؟»

كانت الألفة تامّة. لقد تعامل جان شابو معها كندٍ لها. إلّا أنها حين تذكر اسم رينه دلفوس يمتزج صوتها بنبرة لا تخلو من الوقار.

هل قطنت الى أن شابوليس تريباً، وأنه ينتمي الى وسطٍ اجتماعي مماثلٍ لوسطها؟

- «اجلس!... ألا يزعجك أن أرتدي ملابسٍ؟... ناولني علبة السجائر...»

بحث عنها من حوله.

- «إنها على المنضدة قرب السرير!... أحسنت...».

وبالكاد تجرأ جان، وقد امتقع لونه، على لمس العلبة المعدنية التي رآها ليلة أمس بين يدي الغريب. ونظر الى رفيقته التي بدت عارية تحت القميص الحاسر منهمكةً بارتداء جوربيها.

شعر باضطراب يفوق ما أحسَّ به فور وصوله. واحمرت وجنتاه، ريمًا بسبب علبة السجائر وريمًا بسبب عُري المرأة، والأرجح أن ذلك كان للسببين معاً.

لم تكن ادليل مجرّد امرأة. بل كانت امرأة قدّر لها التورط في مأساة، امرأة تخفي سرّاً من دون ريب.

- «إذاً؟».

ناولها العلبة.

- «الديك ولعة؟...».

كانت يده ترتعش إذ مدّ يده بعود الثقاب المشتعل. فراحت تضحك.

- «قل أيها الفتى: يبدو أنك لم تر كثيراً من النساء في حياتك!...».

- «لقد حظيت بعددٍ من العشيقات».

استرسلت في ضحكها. حدّجته بنظراتٍ ثابتة وقد أغمضت جفنيها نصف إغماضة.

- «تبدو مثيراً للضحك!... فتى غريب... ناولني حزامي...».

- «لقد عدت في ساعة متأخرة هذه الليلة؟».

نظرت إليه بشيء من الانتباه.

- «لا تقل لي إنك عاشق... وإن الغيرة تفقدك صوابك!... الآن أدرك سبب عبوسك حين حدثتك عن رينه... هيا! استدر نحو الحائط...».

- «الم تقرئي الصحف؟».

- «قرات الرواية المسلسلة».

- «لقد قتل الرجل، رُجل ليلة أمس».

- «هل تمزح؟».

لم يخضها النيا كثيراً. أبدت فقط بعض الفضول.

- «ومن قتله؟».

- «لم يعرف بعد. لقد عثر على جثته داخل حقيية من القنب».

القت قميصها فوق السرير. واستدار جان نحوها بعد أن انتهت من ارتداء قميص آخر وراحت تبحث عن فستانها في الخزانة.

- «قصة أخرى لن اجني منها غير المتاعب!...».

- «هل غادرت الـ «غيه مولان» برفقته؟».

- «لا! غادرتُ بمقردي...».

- «آه!».

- «يبدو أنك لا تصدق كلامي... فهل تحسبُ مثلاً أنني أصحب كل زبائن الملهى الى غرفتي؟... أنا راقصة يا صغيري... وبصفتي

راقصة يجب أن أحتّ الزبائن على الشراب... ولكن ما إن يقفل
الملهى أبوابه، ينتهي اللعب!..

- «إلا أن هذا لم يحل دون أن يحظى رينه...».

وسرعان ما أدرك أنها حماقة.

- «إذاً، ماذا تقصد؟».

- «لا شيء.. لقد قال لي...».

- «إنه أحمق! وأنا أقول لك إنّه بالكاد قبلني... ناولني سيكارة

أخرى...».

وبعد أن اعتمرت قَبْعة، قالت:

- «هياً بنا! يجب أن أذهب للتسوّق... هيا!... أغلق الباب...».

وهبطا السلم المعتم، أحدهما خلف الآخر.

- «إلى أين وُجهتك؟».

- «سأعود الى المكتب».

- «ستأتي هذا المساء؟».

كان الرصيفُ مزدحماً بالمارة واقتربا، وبعد دقائق معدودة كان
جان شابو يجلس الى مكتبه وأمامه رزمة من المغلفات ليلصق عليها
الطوابع البريدية.

ويدون أن يدرك تماماً لماذا، كان إحساسه بالخوف قد تبدّل الى
شعور غامض بالكآبة. وأجال نظره في أرجاء المكتب الذي كسيت
جدرانه بالبيانات الرسمية وأحسّ بالاشمئزاز.

- «ألديك الوصولات؟» سأله المساعد الأوّل.

فأعطاء الوصولات.

- «وماذا عن «لا غازيت دولبيج»؟ أنسيت «لا غازيت دولبيج»؟».

إنها مأساة! كارثة! إذ اكتست نبرة المساعد الأوّل طابعاً مأساوياً.

- «اسمع جيداً يا شابو، ينبغي ان أنبهك الى ان الحال لا يمكن ان تستمر على هذا المنوال! فالشغلُ شغل. والواجب واجب. هذا واجدني مُرغماً على التحدّث الى الأستاذ بهذا الشأن. هذا بالإضافة الى ما نُصي إليّ بشأن ارتيادك أماكن مشبوهة، خلال الليل؛ تلك الأماكن التي لم أطاها يوماً في حياتي. وبصراحة أجد أنّك تقسد حياتك. انظر إليّ حين أكلّمك! ولا تطالعني بمثل هذه السحنة الهازئة! أتسمعني؟ لن ينتهي الأمر عند هذا الحدّ...».

وصفق الباب مُغادراً. أمّا الفتى فقد مكثّ وحيداً يتابع لصق الطوابع على المغلفات.

في مثل ذلك الوقت كان من عادة دلفوس ارتياد مقهى الـ «بيليكان» أو يشاهد فيلماً في إحدى صالات الناحية. كانت الساعة تشير الى الخامسة. ومكثّ جان شابو يراقب عقرب الساعة يتقدّم نابضاً ستين مرّة وفي كلّ مرّة دقيقة، ثمّ نهض وأمسك بقبعته بعد ان أقفل دُرج مكتبه بالمفتاح.

لم يكن الرجل العريض المنكبين في الخارج. وكان الطقسُ بارداً بعض الشيء. أرخى الغروبُ في فضاء الشوارع غلالاتٍ واسعة من الضباب الموشى بالزرقة الخفيفة وقد التمتعت في نسيجها مصابيح الأعمدة ونوافذ الحافلات العابرة.

– «اطلبوا «لا غازيت دولبيج...».

لم يكن دلفوس في مقهى الـ «بيليكان». وراح شابو يبحث عنه في مقاهي الوسط الأخرى حيث اعتادا أن يلتقيا. وكان يشعر بوهن في ساقيه ودوارٍ في رأسه، فصمّم على العودة إلى منزله كي ينام.

وما إن دَخَلَ إلى المنزل حتّى خالجه حدس غريب بأنّ شيئاً ما غير عادي قد حدث. كان باب المطبخ مفتوحاً. وبدت الأنسة بولين، الطالبة البولندية التي تقيم في إحدى غرف البيت المفروشة، وهي تنحني فوق شخص ما لم يستطع أن يعرف من هو على الفور.

تقدّم بصمت. وفجأة علا صوتٌ نحيب. التفتت الأنسة بولين نحوه وقد اكتست سحتها ملامح الجفاءِ المقطب.

– «انظر إلى أمك، يا جان!».

وكانت السيدة شابو بمئزرها المعتاد وقد ارتفعت طاولة المطبخ مُجهشةً في البكاء.
– «ما الأمر؟».

وأجابت الفتاة البولندية:

– «أنت الأدرى...».

ومسحت السيدة شابو عينيها الحمرابين ونظرت إلى ابنها وعادت انتحابها.

– «سيتسبب في موتي!... إنه مُريع!...».

– «ماذا فعلتُ يا أمي؟».

كان جان يُخاطبها بصوتٍ حيادي واضح النبرة. فقد بلغ منه

الخوف حدّاً جعله جامداً لا يقوى على الحركة.

- «لو سمحت يا آنسة بولين.. كان لطفاً منك... ونحن الذين
آثرنا دائماً أن نكونوا فقراء، ولكن شرفاء!...»
- «لا أفهم شيئاً...»

غادرت الطالبة. وسُمت أصداء خطواتها الثقيلة وهي تصعد
الدَّرَج. ولكنّها حرصت في النهاية على أن يبقى باب غرفتها مفتوحاً
- «ماذا فعلت؟... قل لي بصراحة... والدك سيعود بين دقيقة
وأخرى... فقط حين أفكر أن سكان الناحية كلّها سي...»
- «أقسم لك أنني لا أفهم شيئاً!...»

- «أنت كاذب!... تعلم جيداً أنك كاذب، ولا تكفّ عن الكذب منذ
أن رحمت تعاشر دلفوس وتلك الغانيات! منذ نصف ساعة جاءت
السيدة فيلدين، بائعة الخضار، لاهنئة... وكانت الآنسة بولين هنا...
وأخبرتني السيدة فيلدين على مسمع من بولين أن رجلاً ما جاء
يستقصي بعض المعلومات بشأنك وبشأننا... ولا بدّ أنّه من رجال
الشرطة!... ولم يجد سوى السيدة فيلدين ليسألها، لأنها نمامة
الناحية كلّها!... ولا بدّ أن الخبر قد شاع الآن بين أهل
الناحية...»

كانت قد نهضت وراحت تسكّب بحركة عفوية الماء الساخن فوق
مصفاة ركوة القهوة. ثمّ أخرجت غطاء طاولة من إحدى الخزائن.
- «هذا ما نجنه لقاء التضحيات التي بذلناها في تربيتك!...
الشرطة التي تلاحق أخبارنا والتي ربّما جاءت لزيارتنا!... لا أعرف
ماذا سيفعل والدك بك.. ولكن ما أعرفه جيداً أن والدي كان

ليطردك من المنزل... وعندما أقول في سري أنك لم تبلغ السابعة عشرة!... إنها غلطة أبيك!... هو الذي يتغاضى عن سهوك وغيابك حتى الثالثة فجراً... وعندما أغضب منك يقف دائماً الى جانبك»

و دون أن يعرف جان سبباً ليقينه هذا، إلا أنه كان واقعياً بأن الشرطي المزعوم ليس سوى الرجل العريض المنكبين. كان مطرقاً ويعتمل الغيظ في صدره.

- «هكذا إذاً، اتقف صامتاً؟ ألا تريد الاعتراف بما اقتدرت يدك؟»

- «لم أفعل شيئاً، يا أمي...»

- «وهل كانت الشرطة لتسأل عنك لو أنك لم تفعل شيئاً؟»

- «ليس مؤكداً أنه من رجال الشرطة!»

- «إذاً، من يكون؟»

وفجأة تجرّأ على الكذب لكي ينهي فصول هذا الموقف الصعب..

- «ربّما كان مجردّ رب عمل يريد أن يستخدمني، ولذلك يُحاول جمع بعض المعلومات بشأنني... حيث أعمل الآن لا أتقاضى الراتب الذي أستحقه.. ولذلك حاولت هنا وهناك أن أجد عملاً أفضل...»

حدّجته بنظرات ثابتة.

- «أنت تكذب!»

- «أقسم لك...»

- «هل أنت واثق من أنكما، أنت وصديقك دلفوس، لم تقترفا

فعلة شائنة؟»

- «أقسم لك، يا أمي...».

- «في مثل هذه الحال، حربيّ بك أن تذهب الى السيّدة فيلدن...
فلا داعي لأن تخبر الجميع بأنّ الشرطة تبحث عنك!».

دار المفتاح في قفل باب المدخل. وبدا السيّد شابو وهو يخلع
معطفه ويعلقه على المشجب ثمّ دخل الى المطبخ وجلس فوق الكنبّة
المصنوعة من الياف القنب.

- «أنت هنا يا جان؟».

ولم يُخفِ دهشته لاحمرار عيني زوجته ولسحنة الفتى الغربية.
- «ما الأمر؟».

- «لا شيء!... كنت أويّخ جان... لقد سئمتُ من عودته تكراراً في
ساعات متأخرة من الليل... فمن يراه على هذه الحال يحسبُ أنّه
لا يشعر بارتياح في حياته العائلية...».

وراحت تضع الأطباق على الطاولة وتملأ الاكواب وشرع السيّد
شابو بالتهام طعامه وهو يقرأ الصحيفة ويُعلّق على الأنباء.

- «قضية أخرى ستثير الكثير من الضجيج!... جثة في حقيبة
من القنب... إنها جثة أجنبي بالطبع!... ولا بدّ أنه جاسوس...».

ثمّ ينتقل الى موضوع آخر:

- «هل دفع السيّد بوغدانوفسكي؟».

- «ليس بعد. قال لي إنه ينتظر وصول المال يوم الأربعاء!».

- «لكنه ينتظر وصوله منذ ثلاثة أسابيع! ليكن! ويوم الأربعاء
تعليمينه بأنّ الأمور لا يمكن أن تستمر على هذه الحال...»

كان الجوّ ثقيلًا مُشبعاً بالروائح المألوفة والانعكاسات المتراوحة على أنية النحاس، ويقع الألوان الفاقعة في صورة الروزنامة الإعلان المعلقة عند الحائط منذ ثلاثة أعوام والتي باتت تستخدم لحفظ الصحف.

كان جان يتناول طعامه على مهل وشيئاً فشيئاً استغرقتة الأفكار التي طالعتة من كل صوب. ففي كنف هذا المناخ المنزلي المألوف كانت تساوره الشكوك حول حقيقة ما يجري في الخارج. لذا يكاد لا يصدّق أنّه لساعتين خلّتا كان يجلس في غرفة راقصة وهي منهمكٌ بارتداء جوربيها أمامه فيما انحسر قميصها كاشفاً عن جسدٍ بضّ على شيء من السمينة والترهل.

- «هل استعلمت بشأن المنزل؟».

- «أي منزل؟».

- «المنزل الذي يقع في شارع فيرونستريه».

- «لقد... أعني، لقد نسيت...».

- «على جاري عادتك!».

- «أرجو أن تكون مصمماً على الراحة هذا المساء! تبدو لي متوعكاً».

- «أجل... لن أخرج الليلة...».

- «إنها المرّة الأولى، طيلة هذا الأسبوع!» قالت السيّدة شابو التي لم تطمئن كثيراً لأقوال جان بل راحت ترمقه بنظرات قلقة.

سُمع طرّقٌ على علبة البريد. فهرع جان لفتح الباب فقد كان

وأتقاً من أن الطارق يقصده. ونظر السيد والسيدة شابو من خلال الباب الزجاجي.

- «إنه دلفوس! قالت السيدة شابو. لن يدع جان وشأنه. وإذا تابع على هذا المنوال فسنذهب لزيارة أهله...».

كانا يراقبانها وهما يتحدثان همساً عند العتبة. والتفت شابو مراراً للتثبت من أن والديه لا يسمعان ما يدور بينهما. وبدأ كمن يُقاوم الرضوخ لطلب ملحاح.

وفجأة صرخ من مكانه دون أن يدخل الى المطبخ:

- «سأعود بعد قليل!».

نهضت السيدة شابو لتحوّل دون خروجه. إلا أنه سرعان ما التقط قبعته عن المشجب بحركة استعجال تنم عن ارتباك شديد وأعلق الباب وراءه بقوة.

- «أوتدعه يتصرف على هذا النحو؟ صرخت في وجه زوجها. أهذا هو الاحترام الذي يكتنه لك؟ لو كنت أكثر تشدداً...».

وواصلت كلامها على هذا المنوال، تحت نور المصباح، وهي تأكل فيما السيد شابو يلقي بنظرات خاطفة على الصحيفة التي لا يجرو على متابعة قراءتها قبل ختام المحاضرة المعتادة.

*

* *

- «هل أنت واثق مما تقول؟».

- «بالطبع... لقد عرفته... لقد كان في الماضي مُفتش حيناً...».

لقد كان دلفوس مذعوراً كما لم يره من قبل، وما إن عبرا تحت
أنوار مصباح البلدية حتى هاله مقدار امتقاعه. كان يدخن بنفثات
قصيرة متلاحقة.

- «الأمربات يفوق احتمالي... منذ أربع ساعات وهو
يُطارِدني... انظروا التفت بسرعة. . أسمع خطواته على بُعد مئة متر
وربما أقل...».

التفت ولم يَزْ إلا خيال رجل عادي يسيّرُ بمحاذاة البيوت على
طولِ شارع «لا لوا».

- «لقد راح يتعقبني فور فراغي من تناول طعام الغداء... وربما
قبل ذلك... إلا أنني لم أنتبه إلى الأمر إلا حين جلستُ على شرفة
الـ «بيليكان»... جلس إلى طاولة مجاورة... وعرفته... منذ عامين
وهو يعمل في صفوف الشرطة السرية. لقد اضطرّ والدي إلى التعامل
معه عقب حادثة سرقة تعرّض لها مخزن الحديد... ويُدعى جرار أو
جيرار... ولست أدري لماذا غادرت المكان... كان وجوده في الجوار
ينفرّني... سلكت شارع «لا كاتيدرال» وراح يتعقبني... دخلتُ
إلى مقهى آخر... فمكث ينتظرني في الخارج على بعد مئة متر... ثم
دخلت إلى سينما «موندان» وسرعان ما وجدته جالساً في الصف
الثالث خلفي... لا أذكر الآن ماذا فعلتُ أيضاً... مشيت طويلاً...
وتنقلت في عددٍ من الحافلات... وكل ذلك بسبب الأوراق النقدية
التي أحملها في جيبي!.. كم أودّ أن أتخلص منها، لأنه إذا
فتّشني... لن أستطيع أن أبرّر مصدر كل هذا المال... اتقول أنه
مالك أنت؟.. وأنّ ربّ العمل اعطاك إياه متلاً للقيام ببعض
المشتريات...».

– «لا!».

كان جبين دلفوس يتصيّب عرقاً ويدت نظراته مزيجاً من القسوة والقلق.

– «ولكن ينبغي أن نتصرف... ففي آخر الأمر سيعمد الى اعتراض طريقنا واستجوابنا... لقد تعمّدت أن أذهب اليك لأننا، في آخر الأمر، كنّا معاً حين...».

– «الم تتناول طعام العشاء بعد؟».

– «لستُ جائعاً... ماذا لو رمينا المال في النهر خلال عبورنا الجسر؟...».

– «سيلاحظ!».

– «بإمكانني أن أختلي في مفاسلِ مقهى ما... أوريّما... اسمع! سندخل الى أحد المقاهي وستذهب أنت الى المغاسل وفي الأثناء أمكثُ أنا لكي لا أغيب عن أنظاره...».

– «وماذا لو لحق بي؟».

– «لن يلحق بك... هذا، علماً بأنّ لك كلّ الحقّ في اقفال الباب بالمفتاح...».

كانا لا يزالان في أحياء الضفّة الأخرى من نهر الموز، حيث الشوارع فسيحة ولكتّها مقفرة وقليلة الإضاءة.

وكانت تتناهى الى مسامعهما خطوات الشرطي المنتظمة ويدا لهما أنّه لا يُحاول أن يُخفي تعقّبه لهما.

– «لماذا لا ندخل الى الـ «غيه مولان»؟... فقد يبدو الأمر طبيعياً... ذلك أننا نرتاده كلّ مساءً تقريباً... ولو أننا قتلنا التركي

بالفعل لما تجرأنا على دخوله مرّة ثانية ...

- «لا يزال الوقت باكراً!». -

- «سننتظر...».

كفّنا عن الكلام. عبرنا جسرَ نهر الموز، وتسكّعنا طويلاً في شوارع
الوسط التجاري وقد حرصنا على التتّبّت بين الحين والآخر من أن
جيران لا يزال هناك يفتقني أثرهما.

شارع الـ «بيودور»، وأبصرنا اللافتة المضاءة التي تعلو مدخل
المقهى الليلي الذي فتحت أبوابه.

- «هل ندخل؟».

وتذكّرنا هروبهما منه خلال الليلة المنصرمة وبذلا جهداً كبيراً
لاحتياز المسافة التي تفصلهما عن المدخل. كان فيكتور واقفاً عند
الباب والفوطة فوق ذراعه، مما يعني أن المهلى خالٍ من الزبائن.

- «هيا بنا!». -

- «مساء الخير، أيها السادة!... ألم تصادقا أدبل في
الطريق؟...».

- «لا! ألم تصل بعد؟».

- «لا، لم تصل بعد! إنه أمر مستغرب فمن عادتها أن تصل
دائماً في موعدها! ادخلا... بوريتو؟...».

- «بوريتو، أجل!». -

كانت الصالة مقفّرة. والعازفون لم يكبدوا أنفسهم مشقّة
الشروع في العزف. كانوا يتبادلون أطراف الحديث وأنظّارهم

شاحسة في باب المدخل. اما صاحب المحلّ، في سترته الببضاء، فكان منهمكاً بترتيب الببارق الامريكية والانكليزية المصفرة خلف الببار.

- «مساء الخير أيها السادة! بادرها من بعيد. كيف الحال؟...».

- «على خير ما يرام!».

وبدخل الشرطي بدوره. كان رجلاً فتياً ويشبه قليلاً المساعد الثاني للكاتب بالعدل. لم يرد أن يعطي قبعته للحاجب ويجلس الى طاولة بقرب الباب.

اشار صاحب المحلّ الى العازفين فصدحت موسيقى الجاز، وفي تلك الاثناء نهض الراقص المحترف الذي كان منكباً على كتابة رسالة في مؤخرة الصالة، ودنا من الراقصة الوحيدة التي وصلت في موعدها.

- «هيا اذهب!...».

ودس دلفوس شيئاً ما في كفّ رفيقه وتردد جان في الإمساك به. كان الشرطي يراقبهما. إلا أن التسليم كان يتم تحت الطاولة.

- «إنها الفرصة الملائمة...».

فأمسك شابو أخيراً بالأوراق النقدية الدقيقة. أبقاها في قبضته لكي لا يقوم بأي حركة مشبوهة، ونهض.

- «لحظات وأعود!...» قال بصوت مرتفع.

لم يستطع دلفوس أن يخفي معالم الارتياح التي ارتسمت على

وجهه ودون أي قصد منه حدّج رفيقه وتابعه بنظرات انتصار.

استوقف صاحبُ المحلّ جان.

- «انتظريثما أعطيك المفتاح! لم تأتِ الحاجةُ بعد... ولا أعلم ماذا ألمّ بالجميع هذا المساء، إذ لم يصل أحدٌ منهم بعد!...».

كان باب القبو مفتوحاً وتتسرب منه نسيمات هواء رطب فسرت قشعريرةً في أوصال الشاب.

كرع لدفوس كأس البورتو بجرعة واحدة. وبدا له أن الشراب يُشعره بالراحة فاحتسى كأس رفيقه أيضاً. مكث المفتش في مكانه، إذأ نجحت المناورة! وما هي إلا هنيهات حتى تبتلع دورة المياه أوراق البنكنوت المُربكة.

في تلك الأثناء دخلت أديل الى الصالة وقد ارتدت معطفاً من الساتان الأسود والمكتر بالفرو الأبيض. حيث العازفين وصافحت فيكتور.

- «ها أنت! قالت لدلفوس. الست برفقة صديقك؟ لقد رأيته بعد ظهر اليوم، جاء لزيارتي. يا له من فتى غريب الأطوار! أسمح لي أن أنزع معطفي؟...».

وضعت معطفها خلف طاولة الصندوق حيث تبادلت بعض العبارات مع صاحب المحلّ، ثم عادت أدراجها إلى طاولة الشاب وجلست بقربه.

- «كأسان... الديك رقيقة؟».

- «جان».

- «أين هو؟».

- «هناك...».

وأشار الى الباب بالتفاته.

- «آه حسناً! ما هي مهنة والده؟».

- «إنه محاسب في شركة تأمين، على ما أعتقد...».

لم تعلق. كان جوابه كافياً. وبأية حال كانت تتوقع مثل هذا الجواب.

- «لماذا أفلعت عن المجيء في سيارتك؟».

- «إنها سيارة والدي، ولا أملك رخصة قيادة. لذلك لا أقودها إلا حين يكون مسافراً. خلال الأسبوع المقبل سيسافر الى «الفوج». إذا شئت... بإمكاننا أن نذهب في نزهة طويلة معاً، الى «سبا» مثلاً...».

- «من يكون هذا الرجل، هناك؟... أليس من رجال الشرطة؟».

- «طستُ أدري.»، «نتم قائلًا وقد احتقن وجهه».

- «له سحنة لا تدعو الى الاطمئنان... ولكن قل! هل أنت واثق من أن صديقك على خير ما يرام هناك؟... يا فيكتور!... كأس شيري... ألا تريد أن ترقص؟... ليس لأنني راغبة في ذلك، بل لأن ربّ العمل يُصرّ على أجواء الحركة...».

مضى على غياب شابو نحو عشرين دقيقة. وكان دلفوس يتعثر في الرقص فيبادرت أديل الى ضبط حركاته تمشياً مع الايقاع.

- «أعذريني.. سأذهب لتفقدته...».

دفع باب المغاسل. ولم يكن جان هناك. ولكنّه لمح الحاجة تقرد
أدوات التنظيف فوق فوطة نظيفة.

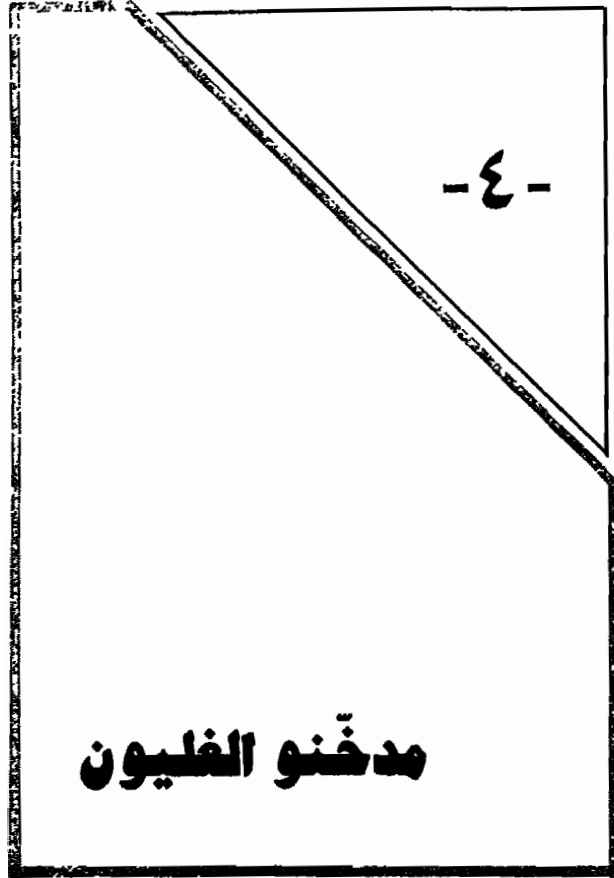
- «أرأيت صديقي؟»

- «لا.. لقد وصلت للتوّ...»

- «لعلّه خرج من الباب الخلفي؟»

- «كالعادة...!»

فتح الباب الخلفي فطالعه الرقاق المقفر البارد وقد أغرقته
الامطار المنهمرة ولا يشق عتمته الدامسة إلا التماع مصباح وحيد.



-٤-

مدخنو الغليون

كانوا أربعة في القاعة الفسيحة حيث وضعت طاولات كسيت بالورق النشّاف بمثابة مكاتب. والمصابيح حجبت بواققيات من الكرتون الأخضر. أما الأبواب فمشرّعة على حجرات خالية.

كان الوقت مساءً. والحاضرون فقط من رجال الأمن، يجلسون ويدخنون غلايينهم. أحدهم، أصهب الشعر ضخم الجثة يُدعى الكوميسير دلفيني كان جالساً عند طرف إحدى الطاولات ومن حين لآخر يمسّد شاربييه بحركة عفوية من يده. مفتش شاب يرسم أشكالاً مختلفة على الورق النشّاف. أما ذاك المُستغرق في كلامه فرجلٌ قوي البنية قصير القامة، ريفي اللكنة تبدو على مظهره سمات الفلاحين.

- «سبعة فرنكات للقطعة الواحدة إذا اشتريتها بالدرّينة! ثمن الواحدة منها لا يقل عن عشرين فرنكاً في أي متجر لبيع المفرق... غلايين جيّدة خالية من أي عيب... اليس كذلك!... صهري يعمل في الفبركة في آرلون».

- «بإمكاننا أن نوصي على درزنتين لرجال المفرزة».
- «لقد كتبت لصهري بهذا الشأن. وللمناسبة لقد أهداني، وهو

إبنُ المهنة، حافظة جلدية رائعة لحفظ الغليون...».

كان الكوميسير يُرجعُ إحدى ساقيه في الفراغ. والجميع يصغون الى الحديث بانتباه. ويدخنون. وفي النور الشاحب الذي كانت تيشه المصابيح تفتت سُحُبُ من الدخان المائل الى الزرقة.

- «بدل أن تحشوها كيفما اتفق، عليك أن تمسك بمحرق الغليون على هذا النحو...».

فتح الباب ودخل منه رجل يدفع برجلٍ آخر امامه. التفت الكوميسير نحو الوافدين الجديدين وسأل:

- «اهذا أنت يا بيرونيه؟».

- «هذا أنا ايها القائد!».

ثم مخاطباً خبير الغلايين: «هيا أسرع...».

كانوا قد أبقوا الشاب واقفاً بمحاذاة الباب وسمع كلُّ ثرثرتهم حول اصول حفظ الغلايين.

- «أتريد غليوناً أنت أيضاً؟ سئِلَ بيرونيه. غلايين من خشب الخلنج الأصلي بسبعة فرنكات فقط وكل ذلك بفضل صهري الذي يعمل في الفبركة في آرلون...».

ثم قال الكوميسير دون أن يبذل مكانه:

- «اقترب قليلاً يا بني!».

كان يخاطب جان شابو الذي بدا ممتنع الوجه، شاخص العينين كأنه على حافة نوبة عصبية. وكان الآخرون ينظرون اليه

متابعين احاديثهم وتدخينهم، حتى أنهم تبادلوا دعابةً ما فيما بينهم جعلتهم يستغرقون في الضحك.

- «أين عثرت عليه، يا بيرونيه؟».

- «في «الغيه مولان»... وفي الوقت المناسب!... في اللحظة التي كان يهَمّ فيها برمي الأوراق النقدية في جُزْنِ المرحاض...».

لم يُشر هذا التصريح دهشة أحدٍ من بين الحاضرين. وتلقت الكومي سير من حوله.

- «من سيتولّى تحرير الأوراق الرسمية؟».

فجلس اصغره سناً الى إحدى الطاولات ووضع امامه أوراقاً مطبوعة حسب الأصول المرعية.

- «الكنية، الاسم، السنّ، المهنة، العنوان، الأحكام السابقة... هيا! أحب...».

- «شابو، جان جوزيف اميل، موظف، ٥٣، شارع لا لوا...».

- «لا أحكام سابقة؟».

- «لا!».

كانت الكلمات تخرج بصعوبة من حلقه الجاف المنقبض.

- «الأب؟».

- «شابو، اميل، محاسب...».

- «لا أحكام سابقة أيضاً؟».

- «لا!».

- «والأم؟».

- «اليزابت دوآين، إثنان وأربعون عاماً...».

لم يكن أحدٌ يصغي. إنه القسم الإداري من الاستجواب. أشعل الكوميسير ذو الشاربين الأصهبين غليوناً وراح يذرع القاعة جيئةً ونهاياً، ثمّ سأل أحدهم:

- «هل تولّى أحدكم قضية الانتحار في رصيف كورنموز؟».

- «لقد تولّاهما جيربير».

- «حسنأ! والآن دورك أيها الفتى... وإن شئت أن تسمع نصيحة مفيدة، حاول أن لا تلعب دور المتذاكى!... لقد كنت ليلة أمس في الغيه مولان برفقة المدعو دلفوس الذي سنتولّى أمره فيما بعد. وكنتما لا تملكان ما تسدّدان به ثمن طلباتكما وكنتما مدينين بطلبات سابقة... هل هذا صحيح؟».

فتح جان شابو فمه ثمّ أغلقه دون أن ينبس بكلمة.

- «أسرتك ليست ثرية. وأنت لا تكسب الكثير. إلا أن هذا لم يحل دون اسرافك وأصبحت مديناً بالمال لعددٍ كبير من الناس... اليس صحيحاً ما أقول؟».

أطرق الفتى وهو يشعر بأن أعين الرجال الخمسة شاخصةً فيه.

كانت نبرة الكوميسير هادئة لا تخلو من بعض الاحتقار.

- «حتّى صاحب دكان السكائر! لأنك حتى يوم أمس كنت لا تزال مديناً له بالمال... كما ترى، أنت لست أول المفلسين الذين يرغبون في عيش الترف دون أن يمتلكوا الإمكانيات الفعلية لذلك... كم مرّة اختلست مالا من حفلة أبيك؟...».

تبدّل لون جان الى الأحمر القاني فالعبارة التي أطلقها الكوميسير كانت أشدّ وقعاً عليه من صفة! والأسوأ من ذلك كُله أنها صحيحة وغير عادلة في الوقت نفسه .

ففي آخر الأمر كلّ الذي قاله الكوميسير لا يخلو من الصحة. ولكنّ الحقيقة حين تُعلن على هذا النحو، جهاراً، دون التفات للتفاصيل، لا تعودُ هي نفسها الحقيقة .

لقد بدأ شابو يحتسي أكواب البيرة برفقة اصدقاء في مقهى الـ «بيليكان». واعتاد على شرب البيرة كلّ مساء، لأن رفقة الشراب في المقهى كانت توقّر له جَوْاً من الصداقة الحميمة .

وكان على كلّ واحد منهم أن يدفع دورة كاملة عن الآخرين. وكل دورة بستّة أو عشرة فرنكات .

وكانت تلك ساعات الغبطة الحقيقية! بعد ساعات العمل في المكتب وتوبيخات المساعد الأوّل، أن يكون هناك، في أفخم مقاهي المدينة، يتأمّل المارّة في شارع بون دافروي ويصافح أيدي الأصدقاء مرحباً ويتأمّل النساء الجميلات اللاتي يأتين أحياناً لمجالستهم .

الم تكن «لييج» بأسرها في متناول يده؟

كان دلفوس يدفع أكثر من سواه، لأنّه الأوسع ثراءً.

– «لماذا لا نقصد الغيه مولان هذه الليلة»... هناك راقصة فاتنة...» .

كان الامر يُعدُّ بإثارة أكبر. المقاعد الحمراء. أجواء الصلاة الكتومة الدافئة المعطرة، والموسيقى وموّدّة فيكتور، وخصوصاً موّدّة

النساء باكتافهن العارية اللواتي يحسنن أثوابهن عالياً لشدة أربطة
جواربهن

وهكذا تحولت العادة تدريجياً الى حاجة. ومرة واحدة، اختلس
جان مالاً لأنه لم يرد أن يدع الآخرين يسدّدون ثمن شرايه. اختلس
مالاً ولكن ليس من المنزل بل من حساب المصروفات النثرية. زاد على
كلفة ارسال بعض الطرود بالبريد المضمون ما لا يفوق العشرين
فرنكاً!

- «لم أسرق مال والدي أبداً».

- «أنت محق، فلا بدّ انه لا يملك ما يستحق السرقة!.. لنعد الى
سهرة الأمس.. كنت برفقة صديقك في الغيه مولان... وكنتما
مفلسين... ومع ذلك قدّمتما شراياً لراقصة!... أعطني علبة
سجائرك...».

فأعطاه الفتى العلبة دون أن يدرك قصده.

- «سجائر «لوكسور» مفلترة... اليس كذلك يا دويوا؟».

- «بلى، بالضبط».

- «حسناً إذأ! ويصادف في الليلة نفسها وجود رجلٍ تبدو عليه
معالم التراء ويحتسي الشمبانيا ولا بدّ أنّ محفظته تكتنز بأوراق
البنكنوت... وبخلاف عادتكما تخرجان من الباب الخلفي...
والحال، أنّ اليوم عُثِر عند درج القيو، قرب هذا الباب، على عقبي
سيكارة وأثار أقدام تؤكّد أنّكما بدل أن تغادرا المكان آتريتما
الاختباء هناك.. ثمّ قتل الغريب... في الغيه مولان أو في مكانٍ آخر...
وسرقت محفظته... وكذلك علبة سجائره الذهبية... وها أنت اليوم

تسدّد ديونك!... وهذا المساء بالذات، إذ تشعر بأنك مطارّد تحاول أن تتخلص من النقود عبر رميها في المراحيض...
كان الكوميسير يتلو هذه الوقائع بنبرة محايدة كأنه يكاد لا يأخذ القضية على محمل الجدّ.

كان شابو يحدّق بثباتٍ في أرضية القاعة.
- «أين هاجمت غرافويولوس؟... في الملهى الليلي؟... أو بعدما غادره؟...».

- «لم افعل! قال جان صارخاً. أقسمُ لك بحياة والدي...».
- «هيا دعك من هذا! دع والدك وشأنه! فما سببته له حتى الآن أكثر من كافٍ...».

وما لبثت هذه العبارات أن أثارت لديه رعدة تشنج. وراح جان يحدّق في ما حوله بنظرات هلع. في تلك اللحظة فقط أيقن حقيقة الوضع الذي وجد نفسه متورطاً فيه. وأيقن أنّ والديه سيعلمان بكل ما جرى في غضون ساعة أو ساعتين!

- «غير معقول! غير صحيح! لا أريد!» صرخ قائلاً.

- «رويدك أيها الفتى!».

- «لا أريد! لا أريد! لا أريد!...».

وانقضّ على المفتش الذي كان بين الباب وبينه. لم يستغرق العراك إلاّ هنيهة. فقد كان الفتى لا يعرف حتى ماذا يريد بالضبط. فقد السيطرة على نفسه. واستبدّت به نوبة فواق ممزوجة بالنحيب. وفي آخر الأمر ارتمى أرضاً وراح يتململ ويضغط بذراعيه على صدره دون أن يكفّ لحظة عن الأنين.

كان الآخرون يواصلون تدخين غلايينهم ويتبادلون النظرات الغامزة.

- «كوب ماء يا دويوا!... مَنْ يحمل تبغاً؟...».

سكب كوب الماء على وجه شابو الذي استحالت نوبة التوتر العصبي لديه الى نوبة بكاء. وكان يحاول أن يضغط بأصابع يديه على عنقه، بقوة.

- «لا أريد!... لا أريد!...».

هزَّ الكوميسير كتفيه وغمغم قائلاً:

- «كلّهم سواء، هؤلاء الفتيان السفلة... ويعد قليل علينا ان نستقبل الأب والام!...»

كان الجوّ السائد أشبه بأجواء مستشفى حيث اجتمع عدد من الأطباء حول مريض يُعاني سكرات الموت.

كانوا خمسة رجال يتحلقون حول فتى، حول صبي، خمسة رجال بلغوا من العمر عتياً، وخبروا التجارب الأكثر اشفاقاً فلا يتبرهم المشهد الذي يجري امامهم.

- «هتياً! انهض!» قال الكوميسير بنفاد صبر.

فأطاعه شابو مستسلماً. لقد خارت قواه وانهدت النوبة العصبية قدرته على الاحتمال. كان يتلفت من حوله هلعاً كحيوانٍ يستسلم بعد مقاومة لقدره المحتّم.

- «أتوسّل اليك...».

- «أخبرنا من أين أتيت بالمال!».

– هلا أدري... أقسم لك... أنا...».

– «كفّ عن حلفانك هذا!».

كانت بدلته السوداء قد تبقّعت بالغبار. وعندما مسح عينيه بيديه الوسختين بدت آثار خطوط رمادية على وجنتيه.

– «إن والدي مريض... مصابٌ بمرض القلب... لقد أصيب بنوبة قلبية في العام الماضي ونصحه الطبيب بأن يتجنب الانفعالات الحادة...».

كان يتكلم بنبرة رتيبة وبدا زاهلاً.

– «كان عليك أن تتبعد عن ارتكاب الحماقات، يا صغيري!... والآن ينبغي أن تتكلم... من قام بالاعتداء؟ أنت؟ أم دلفوس؟... هو الآخر لن ينجو من فعلته!... فإذا كان هناك ينبغي أن يُستجوب، لا بدّ أن يكون هو...».

دخل شرطي آخر وألقى التحيّة مبتهجاً ثمّ جلس إلى إحدى الطاولات حيث يقرأ يقلب صفحات ملفّ.

– «هأك آتيا الفتى، إنّه الدرس الملائم!... هيا اجلس إلى الطاولة! فهذا أفضل ما يمكن أن تفعله... فقد يكون بوسعنا أن نطلعك على حقيقة الأمر...».

رن الهاتف. فصمت الجميع باستثناء أحد المفتشين الذي رفع السماعه.

– «آلو! أجل... حسناً!... قل له ان عربة الإسعاف ستصل عمّا قريب...».

ومخاطباً الآخرين بعد إقفاله الخط:

- «بشان الخادمة التي انتحرت. ذلك ان مخدموها يستعجل نقل الجثة...».

- «لم اقتل.. حتى انني لم اكن اعلم...».

- «حسناً! أقر بأنك لم تقتل...».

وفي تلك الأثناء بدت لهجة الكوميسير على شيء من التعاطف الأبوي.

- «ولكن على الأقل تعرف شيئاً ما بهذا الشأن... فالمال لم يأت من تلقائه الى جييبك... بالأمس كنت لا تملك مالاً واليوم أصبحت تمتلك الكثير منه... وأنتم هناك ماذا تفعلون، اعطوه كرسيّاً...».

ذلك ان شابو كان يترنّح في وقفته إذ ما عادت ساقاه تحملانه. وتهالك على الكرسي وقد أسند رأسه الى كفيه.

- «لا تتعجل الإجابة... خذ وقتك كله... واقنع نفسك انها الوسيلة الوحيدة للخلاص من هذا المأزق... وبأية حال، أنت لم تبلغ بعد السابعة عشرة.. وستمثل أمام محكمة الأحداث وسوف تودع الإصلاحية لا السجن...».

وراودت شابو فكرة مياغنة فتلفت من حوله بعينين بدتا أقل اضطراباً. وحدق في جلاديه الواحد تلو الآخر. ولم يجد بينهم من يشبه الرجل ذا المنكين العريضين...

فهل أخطأ بشأنه؟ هل كان الرجل المجهول من رجال الشرطة حقاً؟ وماذا لو كان هو القاتل؟ لقد كان في الغيه مولان ليلة أمس.. ومكث هناك بعد مغادرة الشابين!

وماذا لو أنه تعقّب أثرهما عمداً لكي يوقع بهما بدلاً منه؟
- «أعتقد أنني فهمتُ الآن!... صرخ قائلاً وقد ملا الرجاء قلبه .. أجل، أعتقد أنني أعرف القاتل . إنه رجل طويل القامة ضخّم الجثة، حليق الوجه...».

هزّ الكوميسير كتفيه، إلّا أن هذا لم يُحبط اندفاعه شابو
- «لقد دخل الى الغيه مولان بعد دخول التركي مباشرة. كان بمفرده... واليوم شاهدته مجدداً، وكان يتعقبني... حتّى أنه قصد صاحبة متجر الخضار للسؤال عني...».

- «ما هذا الهراء الذي يقوله؟».

غمغم المفتش بيرونيه قائلاً:

- «لا أدري بالضبط، ولكن بالفعل لقد دخل الى الغيه مولان زبون لا يعرفه أحد...».

- «ومتى غادر؟».

حدّج الكوميسير شابو الذي عاوده الرجاء بنظراتٍ فاحصة، ولكنّه لم يُعره اهتماماً. وخاطب الآخرين قائلاً:

- «في آخر الأمر، كيف كان ترتيب مغادرة الزبائن بالضبط؟».

- «كان الشبان أوّل المغادرين.. أو على الأقل تظاهروا بالمغادرة، لأنّه من الثابت لنا أنّهما مكثا مختبئين في القبو... ثمّ الراقص وتلاه العازقون .. وعندما أقفل الملهى أبوابه اصطحب الرجل المعني أديل التي تعمل في الملهى...».

- «لم يبق إذاً إلّا صاحب المحلّ وجرافوبولس والتادلان...».

- «أقصد أحدهما، فالمدعو جوزيف كان قد غادر مع العازفين...».
- «إذاً صاحب المحلّ ونادل واليوناني...».
- «والشبابان في القبو...».
- «ما هي أقوال صاحب المحلّ؟».
- «يقول إنّ الزبون غادر في تلك اللحظة وإنه عمد بمساعدة فيكتور الى إطفاء الأنوار وإغلاق الأبواب...».
- «وبعد ذلك ألم يلمح أحد الرجل الذي يتحدّث عنه شابو؟».
- «لا! لقد وصفوه لي أيضاً على أنه طويل القامة عريض المنكبين... يُعتقد أنه فرنسي، لأنه لا يمتلك لهجة الأماي...».
- تتابع الكوميسير طويلاً وأبدى شيئاً من نفاذ الصبر في طريقته العصبية بحشو غليونه.
- «اتصلوا إذأ بالغيه مولان واسألوا جيرار عمّا يجري هناك...».
- كان شابو ينتظر قلقاً. لقد بدت له تلك اللحظات أشدّ هولاً من سابقاتها، لأنّه بات يأمل بالخلاص. ولكنّه يخشى أن يكون مخطئاً.
- كان خوفه قد أصبح مؤلماً، تشبّثت أصابع يديه بحافة الطاولة وزاغت عيناه بين الحاضرين وخصوصاً جهاز الهاتف.
- «آلو!... الغيه مولان، من فضلك يا آنسة...».
- وما كان من الشرطي، سمسار الغلايين، إلّا أن سأل الآخرين:
- «إذأ اتفقنا، سأكتبُ الى صهري لأوصيه على الكمية؟..».

وللمناسبة ماذا تفضلون الغلايين ذات المباسم المستقيمة؟ أم الأخرى ذات المباسم المعوجة؟...»

– «المستقيمة!» أجاب الكوميسير.

– «إذاً، سأطلب دزنتين من الغلايين ذات المباسم المستقيمة... ولكن قل لي، أما زلتم في حاجة إليّ؟... إنّ ابني الصغير مصابٌ بالحصبة و...»

– «بإمكانك أن تغادر.»

وقبل أن يغادر ألقى شرطي نظرة أخيرة على جان شابو وسأل رئيسه بصوتٍ خفيض:

– «استبقيه في الحجز؟»

وحاول الشاب الذي سمع السؤال أن يخصن الجواب وبدا مشدود الأعصاب متوجسباً.

– «لا أعرفُ بعد... وفي كل الأحوال سنبقيه حتّى الغد... وبعد ذلك فإنّ النائب العام هو الذي يقرّر...»

تبدّد كلُّ أمل. فتراخت عضلات جان المشدودة. فأن يطلق سراحه في اليوم التالي يعني أنّ الخلاص يأتي متأخراً. سوف يعلم والداه بالامر! إذ لا بدّ أنّهما أصبحا قلقين ينتظران عودته!

إلاّ أنه ما عاد قادراً على البكاء. لقد تهالك جسده وهناً. وتناهت إليه المحادثة الهاتفية مشوشة، غير واضحة.

– «جيران؟... إذاً، ماذا يفعل هناك؟... ماذا؟... يترنح من السكر؟... أجل، إنه لا يزال هنا... لا!... إنه ينكر كل شيء بالطبع!... انتظر قليلاً، سأسأل الرئيس...»

ومخاطباً الكوميسير.

- «جيرار يسأل عما ينبغي أن يفعله. فالشاب سكرانٌ مُتعتع...
لقد طلب الشمبانيا ويشرب برققة الراقصة التي لا تبدو في حالٍ
أفضل... هل يُلقي القبض عليه؟».

نظر الرئيس الى جان وأطلق تنهيدة عميقة.

- «لدينا واحد هنا.. لا! ليدعه وشأنه... مَنْ يدري. ربّما ارتكب
هفوةً ما... على أن لا يفارقه جيرار لحظة واحدة!... وليتصل بنا فيما
بعد...».

*

* *

جلس الكوميسير على الكنبه الوحيدة في الحجرة، وأغمض عينيه
مسترخياً فبدا وكأن النعاس قد غلبه. غير أن خيط الدخان الرفيع
الذي كان يتصاعد من غليونه برهن، بما لا يحتمل الشك، بأن
مظهر النوم خادع.

في الناحية الأخرى كان أحد المفتشين يطلع جان شابو على
محضر الاستجواب. فيما انشغل مفتش آخر بذرع أرض القاعة
بخطواته منتظراً بفارغ الصبر حلول الساعة الثالثة لكي يذهب الى
النوم.

بدأت أجواء القاعة تميل الى البرودة. حتى الدخان كان يبدو
بارداً. ولم يستطع الشاب أن ينام. كانت أفكاره مشوشة. فجلس
مرتفقاً حافة الطاولة، وما إن يغمض له جفن حتى يتعمد فتح عينيه

من جديد. وفي كلِّ مرّة تطالعُ عينيه تلك الورقة ذات الترويسة الحكومية حيث كُتِب بحروفٍ أنيقة:

«لقد حرر محضر الضبط في حقِّ جوزيف دوموروا، العامل المياوم، المقيم في قليمال هوت، لإقدامه على سرقةٍ اراتب...».

أمّا بقية النصِّ فقد حجبتها ورقة نشاف وضعت عليها.

رنَّ الهاتف، فهرع المفتش الذي يذرع القاعة جيئةً وذهاباً لرفع السّاعة.

– «أجل... حسناً!... حسناً!... سأخبره!... إنه يمضي أوقاتاً ممتعة!...».

واقترِب من الرئيس:

– «إنه جيران... لقد استقل دلفوس والراقصة سيّارة أجرة أوصلتهما الى منزل أديل في شارع لا ريجانس... وصعدا معاً... جيران هناك يواصل المراقبة...».

على الرغم من الغمامة الزهرية التي تلبّدت في رأسه كان جان يتخيل غرفة أديل؛ السرير الذي رآه في حالة فوضى والراقصة التي تخلع ملابسها وتشعل السخّان...

– «والآن اليس لديك فعلاً ما تقوله؟» سألته الرئيس دون أن يغادر الكنبة.

لم يجب. كان عاجزاً عن الإجابة. وبالكاد أدرك أن السؤال موجه إليه.

رفرة عميقة انطلقت من صدر الكوميسير قبل أن يقول مخاطباً
المفتش

- «بامكانك أن تغادرا فقط اترك لي بعض التبغ..»

- «أعتقد أنك ستتوصل الى شيء ما».

وأشار بعينه الى خيال جان الداكن الذي انحنى فوق الطاولة.

ومجدداً هزَّ الكوميسير كتفيه.

وتقب هائل في ذاكرة جان. ثقب أسود تمتزج فيه الأشكال
الغامضة التي تخترقها التماعات حمراء دون أن تضيء شيئاً منها.

ثم رفع رأسه مذعوراً وقد أيقظه رنين ملحاح. فرأى ثلاث نوافذ
كبيرة باهتة ومصابيح شاحبة الإضاءة، والكوميسير الذي يفرك
عينيه ويتناول بحركة عفوية غليونه المطفا عن الطاولة ويتقدم نحو
الهاتف وكأنَّ خدراً يشلُّ ساقيه

- «ألو! أجل!... ألو!... دائرة الأمن، أجل!... ولكن لا، يا
صديقي.. إنه هنا... ماذا؟ فليأتِ للتثبت منه إذا كان هذا ما
يرضيه...»

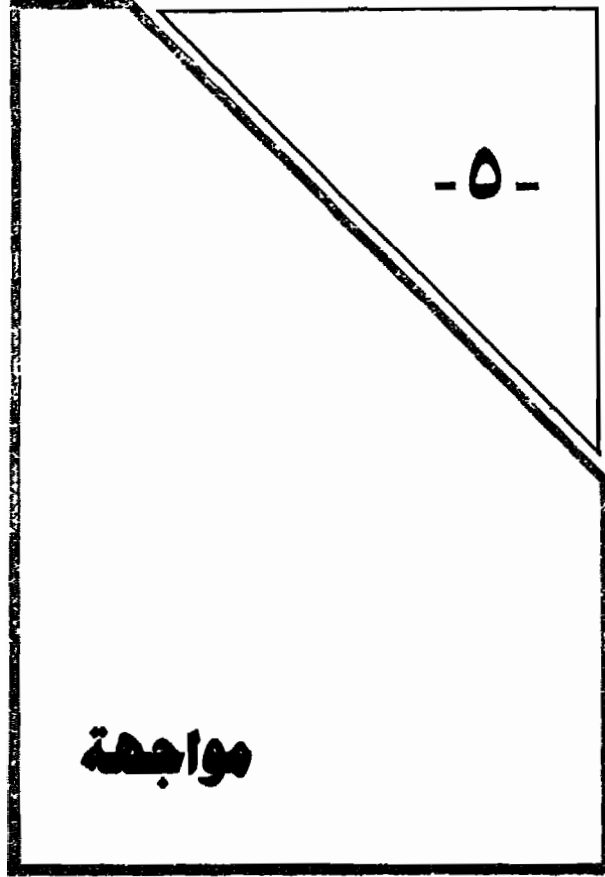
ثم أشعل الكوميسير ذو الفم المبتج غليونه وأخذ أنفاساً متتالية
عميقة قبل أن يقف قبالة شابو.

- «إنه والدك! لقد بلغ مركز الدائرة السادسة عن اختفائك..
وأعتقد أنه سيأتي».

فجأة انعكست أشعة الشمس فوق زجاج النافذة فدف ل الضوء
قطاً وشرساً، فيما دخل رجال الخدمة يحملون الدلاء والفراشي
لتنظيف المكان.

اصداء جلبة غائمة كانت تتناهى من ناحية السوق على بعد
مئتي متر قبالة مبنى البلدية. وعبرت الحافلات الصباحية الأولى
مطلقة ريندها كأنها توقظ المدينة عمداً.

وكان جان شابو معتكر العينين زائغ النظرات يمرر أصابع يده
بين خصلات شعره.



سَكَتَ النَّفْسُ الْأَجْشُ حِينَ فَتَحَ دَلْفُوسَ عَيْنِيهِ وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَلَسَ
عَلَى قَفَاهُ وَالْقَى مِنْ حَوْلِهِ نَظْرَاتٍ قَلِيعَةً .

كانت ستائر النافذة مرفوعة والمصباح الكهربائي مضاءً مازجاً
بصيصه الشاحب بضوء النهار وكانت جلبه المدينة المستيقظة
تنتاهي الى مسامعه من الشارع .

على مقربةٍ منه، وتأثر تنفس منتظم . إنها أديل، نصف عارية
مستلقيةً على بطنها وقد غمرت وجهها بالسادة . كان جسدها يتسبع
دفناً لزجاً . وفي إحدى قدميها فردة حذائها ذي الكعب العالي الذي
ينغررُ في غطاء الفراش الحريري المذهب .

كان رينه دلفوس متوعكاً . وأحسَّ أن ربطة عنقه تحزُّ رقبته .
نهض بحثاً عن الماء فوجد شيئاً منه في الإبريق ولكنّه لم يعثر على
كوب . فشرّب الماء الفاتر من الإبريق بنهم، ثم تأمل وجهه طويلاً
مرآة المغسلة .

كان ذهنه مشوشاً بليداً، لا تحضره الذكريات إلا واحدة تلو
الأخرى وببطن مشوبٍ بهفوات النسيان . فهو مثلاً لا يذكر كيف
وصل الى هذه الغرفة . نظر الى ساعته . كانت عقاربها واقفة إلا أن

حركة الشارع تشير الى أن الوقت قارب التاسعة صباحاً على الأقل،
إذ فتحت أبواب المصرف الذي يقع في الجهة المقابلة من الشارع.
- «أدبل!... نادى رفيقته النائمة لكي يطرد عنه إحساسه
بالوحدة.

تقلبت أدبل في سريرها واستقرت على جنبها، لكنّها لم تستيقظ.
- «أدبل!.. يجب أن أكلمك...».

كان يتأملها دون أي إحساس بالرغبة. لا بل ربّما أثار لديه
بياض بشرة المرأة في تلك اللحظة بعض الإشمئزاز.

فتحت عيناً وهرّزت بكتفها ثم استغرقت في النوم مجدداً. وكان
دلفوس يزداد توتراً وعصبية كلما صحا ذهنه وانتظمت أفكاره إذ
زاغت عيناه وراح يقلّب نظراته في أرجاء المكان. سار في اتجاه
النافذة، وشاهد على الرصيف المقابل مفتش الشرطة الذي كان
يتمشى جيئةً وذهاباً دون أن يغفل لحظة واحدة عن الباب.

- «أدبل!... استيقظي بحق السماء!...».

كان يشعر بالخوف! لا بل كان مذعوراً! فأمسك بسترته التي
كانت ملقاة على الأرضية وعندما ارتداها تلمس جيوبه بحركة
عفوية. ووجدها خالية حتى من فلسٍ مثقوب.

كرع مجدداً جرعاتٍ من الماء فنزلت ثقيلةً حامضةً على معدته
المتوترة. ولوهلةٍ شعر بحاجة للتقيؤ وأن التقيؤ قد يريحه، لكنّه لم
يستطع.

كانت الراقصة لا تزال غارقةً في نومها بشعرها المشعث ووجهها
اللزج اللامع. نوم عنيدٌ وعميق يستغرقها كأنها في حالة إغماء.

انتعل دلفوس حذاءه ولمَحَ حقيبة رفيقته على الطاولة. وعندئذٍ راودته فكرة ما. تثبتت أولاً من أن الشرطي لا يزال في الخارج. ثم انتظر قليلاً ريثما تنتظم أنفاس أديل.

فتح الحقيبة دون أن يحدث جلبة. ووجد فيها، إضافة إلى أصابع الحمرة وعلب البودرة وبعض الرسائل القديمة، تسع مئة فرنك دسها في جيبه دون تردد.

لم تحرك ساكناً، فمشى نحو الباب على رؤوس أصابع قدميه. ثم هبط الدرج ولكنه بدل أن يخرج فوراً إلى الشارع سار نحو الفناء الداخلي. كان الفناء ملحقاً بمتجر الخضضوات وقد كدست فيه الصناديق الفارغة والبراميل. وفي طرفه باب صغير يفضي إلى شارعٍ آخر حيث يقف بعض الشاحنات.

كان على دلفوس أن يبذل جهداً كبيراً لكي لا يُطلق لساقه العنان. ولم تنقض نصف ساعة حتى وصل، مكسواً بالعرق، إلى محطة «غيلومان».

*

* *

صافح المفتش جيرار يد زميله الذي اقترب منه.

- «ما الأمر؟».

- «يريد الكوميسير أن تُحضر الشاب والراقصة. وهذه مذكرة التوقيف».

- «هل اعترف الآخر؟».

«إنه ينكر كل شيء! أو الأخرى يروي قصة ما حول مبلغ من المال سرقه صديقه من متجر شوكولاته. والداه هناك. ومنظرهما لا يدعو الى السرور...».

«أترافقني؟».

«لم يوضح الرئيس هذا الأمر... فلم لا...».

ودخلا الى العمارة وطرقا باب الغرفة. لم يجب أحد. وعندئذٍ أدار المفتش جيرار المقبض ففتح الباب فاستيقظت أديل فجأة كما لو أنها أحسّت بالخطر الوافد، فرفعت جذعها واستندت الى الفراش بمرفقيها وسألت بنبرة متناقلة:

«ما الأمر؟».

«الشرطة! لدي مذكرة بتوقيكما أنتما الإثنين».

«ولكن، سحقا، أين ذهب الفتى!...».

راحت تبحث عنه، هي أيضاً، مُتلفتة في الأرجاء، فيما نهضت من سريرها. ثم مدفوعةً بحدسٍ غامضٍ نظرت الى حقيبة يدها على الطاولة وهرعت نحوها إذ رأت أنها مفتوحة وراحت تبعثر محتوياتها بحركات عصبية حانقة:

«النذل! لقد قرأ بعد أن سطا على نقودي!...».

«أكنت تجهلين أنه غادر الغرفة؟».

«كنت نائمة... لكنّه لن ينجو بفعلته!... أرايت ماذا يفعل هؤلاء الأوغاد أبناء الأثرياء!...»

كان جيرار قد لفته وجود علبة سجائر ذهبية على المنضدة قرب السرير.

- «لمن هذه؟»

- «لقد نسيتها هنا... لقد رأيته يحملها، مساء أمس...»

- «هيا، ارتدي ثيابك!»

- «أيعني هذا أنني قيد الاعتقال؟»

- «لدي مذكرة جلب في حق المدعوة أديل بوسكيه، ومهنتها

راقصة. أحسب أنها أنت، أليس كذلك؟»

- «حسنأ!»

لم تُبدِ أيّاً من مظاهر الذعر. إذ بدت وكأنها لا تبالي كثيراً بمذكرة الجلب بل بالسرقعة التي تعرّضت لها على يدِ الفتى الهارب. وكانت تردّد مراراً في غمرة انهماكها بتسريح شعرها.

- «النذل!... وأنا... استغرق في النوم كالبلهاء!...»

كان الشرطيان يجيلان أنظارهما في الأنحاء ويتبادلان الغمز والتلميحات.

- «أعتقدان أن الأمر سيطول بي هناك؟ سألتهما. ففي مثل هذه الحال ينبغي أن أحمل معي بعض الملابس الداخلية النظيفة...»

- «لا نعرفُ شيئاً! لقد تلقينا الأمر...»

هزت كتفيها وتنهّدت قائلّة:

- «بأية حال، أنا لم أقترف أيّ ذنب!»

ثمّ سارت نحو الباب وأردفت قائلّة:

- «إنني في انتظاركما... لديكما سيارّة على الأقل، أليس كذلك...»

لا؟.. إذاً أفضل أن أسير بمفردتي.. وما عليكما إلا أن تلتحقا بي...»

واقفلت حقيبتها بحركة غاضبة ثم حملتها فيما كان المفتش يدهسُ علبه السجائر المذهبة في جيبه.

ومن تلقائها، ما إن خرجت من الباب، حتى سارت في اتجاه مركز الشرطة حيث دخلت دون تردّد ولم تقف إلا عند مدخل الرواق العريض.

– «من هنا! قال جيرار. لحظة واحدة! سأسأل الرئيس إذا...».

لم تقلع المناورة. دخلت على الفور! وما إن أصبحت في الداخل حتى اتضح لها الموقف جلياً. كانوا في انتظارها من دون شك. لأنّ أحداً لم يعترض على دخولها المفاجيء. كان الكوميسير ذو الشاربين الأصهبين يذرع أرض الغرفة جيئةً وذهاباً. أما شابو فيحاول، مُرتفقاً حافة أحد المكاتب، أن يأكل سندويشاً كانوا قد أحضروه له. فيما انتحى والده إحدى الزوايا ومكث مُطرقاً.

– «والآخر؟...» قال الرئيس حين رأى أديل برفقة جيرار.

– «رحل! لا بدّ أنه تسلّل من باب خلفي! وتدّعي الانسة أنه حمل معه كلّ النقود التي كانت في حقيبتها...».

مكث شابو لا يجرؤ على النظر إلى أيّ منهم.

– «محترفاً نذالة، أيّها الكوميسير!... كم كنت حمقاء حين أردت أن اعامل أوغاداً من هذا القبيل بمويّةٍ ولطف...».

– «مهلاً! مهلاً! فقط أجيبي عن سؤالتي!».

– «وبرغم ذلك لقد سطا على كل مدخراتي!».

– «أرجوك، الزمي الصمت».

دنا جبرار من الكوميسير وهمس في أذنه قبل أن يعطيه علبة السجائر المذقبة.

– «أخبريني أولاً ما الذي أتى بهذا الشيء الى غرفتك؟ أحسب أنك تعرفين جيداً ما هو. لقد أمضى غرافوبولوس ليلته الأخيرة برفقتك. وقد استخدم هذه العلبة مراراً وقد استرعت انتباه الكثيرين. أهو من أعطاك إيّاها؟».

نظرت الى شابو ثم الى الكوميسير وقالت جازمةً:

– «لا!».

– «إذاً ما الذي أتى بها الى غرفتك؟».

– «إنه دلفوس...».

فجأة رفع شابوراسه وأراد أن ينقضّ عليها، وشرع يصرخ.

– «غير صحيح... إنها...».

– «انت، عُد الى مكانك!... تقولين يا آنسة إن رنيه دلفوس هو الذي كان يحمل العلبة. أتدركين خطورة هذا الاتهام؟».

فأجابت هازئةً:

– «وكيف لا أدرك ذلك!... فهو لم يتورّع عن سرقة النقود التي كانت في حقييتي، أليس...».

– «وهل تعرفينه منذ مدة طويلة؟».

– «منذ ثلاثة أشهر ريمًا... منذ أن راح يتربّد على الغيه مولان

كَلِّ مَسَاءٍ تَقْرِيباً بِرَفْقَةٍ هَذَا الصَّوْصُ... زَمْرَةٌ بِأَثْسِينِ! كَانِ يَجْدُرُ بِي
أَنْ أُحْتَرَسَ مِنْهُمَا... وَلَكِنْ أَنْتِ تَعْلَمُ جَيِّدًا كَيْفَ تَجْرِي مِثْلَ هَذِهِ
الْأُمُورِ... وَجَدْتُهُمَا فَتِيَيْنِ!.. وَحَسِبْتُ أَنْ مَجَالِسَتَهُمَا قَدْ تَخَفَّ عَنِي
عَبَّءُ الْعَمَلِ... كُنْتُ أَعَامِلُهُمَا كَصَدِيقَيْنِ!... وَحِينَ يَقْدَمَانِ لِي كَأَسَاءٍ
كُنْتُ أَحْرَصُ عَلَيَّ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَرْخَصِ الْأَنْوَاعِ...».

كَانَتْ نَظْرَاتُهَا تَنْضَعُ بِالْقَسْوَةِ وَالْجَفَاءِ.

– «لَقَدْ كُنْتُ عَشِيْقَةً الْإِثْنَيْنِ مَعًا؟».

فَأُطَلِّقَتْ قَهْقَهَاتٍ لَهَا مَعْنَى.

– «لَمْ نَصِلْ إِلَى هَذَا الْحَدِّ!... هَذَا مَا كَانَا يَرْغَبَانِ فِيهِ مِنْ دُونِ
شُكِّ... لَكِنَّهُمَا لَمْ يَمْتَلِكَا الْجَرَاءَةَ الْكَامِنَةَ لِمَصَارِحَتِي بِهَذَا الشَّأْنِ.
كَانَا يَأْتِيَانِ إِلَيَّ كُلِّ بِمَفْرَدِهِ، مَتَذَرِعِينَ بِأَعْدَارٍ مُخْتَلِفَةٍ، لَكِي يَسْتَرْقَا
النَّظَرَ إِلَيَّ حِينَ أَبْدِلُ مَلَابِسِي...».

– «وَلَيْلَةُ الْجَرِيمَةِ، هَلْ شَرِبْتَ الشَّمْبَانِيَا بِرَفْقَةِ غِرَافُوْبُولُوسِ. وَهَلْ
اتَّفَقْتُمَا عَلَيَّ أَنْ تَلْتَقِيَا بَعْدَ السَّهْرَةِ؟».

– «مَنْ تَحْسِبُنِي؟... أَنَا رَاقِصَةٌ...».

– «لَا يَلِ سَاقِيَةٌ زِبَانُنْ... وَالْجَمِيعُ يَعْرِفُ مَا مَعْنَى ذَلِكَ... هَلْ
غَادَرْتَ بِرَفْقَتِهِ؟».

– «كَلَّا!».

– «هَلْ سَاوَمَكِ عَلَيَّ أَمْرٌ مَا؟».

– «نَعَمْ وَلَا. لَقَدْ عَرَضَ عَلَيَّ أَنْ أُوَافِيَهُ إِلَى الْفَنْدُقِ، وَمَا عَدْتُ أَنْزَكَرَ
أَيَّنْ. لَمْ أَكْتَرِثْ كَثِيرًا...».

– «لَمْ تَغَادِرِي بِمَفْرَدِكَ.».

«صحيح. بينما كنتُ أهتمّ بالمغادرة سألتني زيون آخر لا اعرفه ولا بد أنه فرنسي، أين تقع ساحة سان لامبير. فقلت له إنها في طريقي. فرافقتني بعض الطريق ثم قال لي فجأة:

«حسناً! لقد نسيت علبة تبغني في البار...».

«وعاد أدراجه...».

«أهو رجل ضخم الجثة؟».

«بالضبط!».

«وعدت فوراً الى غرفتك؟».

«كعادتي كل ليلة».

«وعلمت بنبأ الجريمة في اليوم التالي عبر الصحف؟».

«لقد زارني هذا الفتى... وهو الذي أخبرني...».

لمرتين او ثلاث حاول شابو أن يقول شيئاً ولكنّ الكوميسير كان يثنيه عن ذلك بنظرة رادعة. اما الأب فمكث واقفاً حيث كان.

«اليس لك ادنى فكرة حول حادثة القتل هذه؟».

لم تجب على الفور.

«هيا تكلمي! لقد اعترف شابو للتوّ أنه كان مختبئاً في تلك

الليلة، برفقة صديقه دلفوس، على درج القبو في الغيه مولان».

فضحكت باستهزاء.

«إنه يدّعي أنّ هدفهما كان سرقة الصندوق. وعندما دخلا

الصالة، بعد الإقفال بنحو ربع ساعة، عثرا على جثة

غرافوبولوس...».

– «بلا مزاح!».

– «براك من يستطيع أن يقترف مثل هذه الجريمة؟ ولكن مهلاً! امامنا عدد ضئيل جداً من المشبوهين. هناك أولاً جينارو، صاحب المحلّ. ويزعم أنه غادر فوراً بعد أن غادرتِ أنت، وأنه كان برفقة فيكتور. ويؤكد أن غرافويولوس كان قد غادر قبلهما.»

هرّت كتفيها فيما راح شابو يرمقها بنظرات متوسّلة لكنّها لا تخلو من القسوة.

– «أتستبعدين أن يكون جينارو هو الجاني وكذلك فيكتور؟».

– «إنه افتراض أحق! قالت بلا ميالة.».

– «يبقى الزبون المجهول الذي تزعمين أنك رافقته بعض الوقت. فمن الممكن أنه عاد أدراجه، بمفرده أو برفقتك...».

– «وكيف استطاع الدخول؟».

– «أنت تعملين في الملهى منذ وقتٍ طويل، مما يتيح لك أن تتدبري لنفسك نسخة عن مفتاح المدخل!».

هرّت كتفيها مجدّداً.

– «ولكنّ علبة السجائر المذهبة كانت مع دلفوس! أجابت. وهو الذي كان مُختبئاً هناك!».

– «غير صحيح! علبة السجائر كانت في غرفتكِ ظهرَ اليوم التالي! صرخ شابو. لقد رأيتها! أقسم لكم!...».

فرّدت:

– «إنه دلفوس.».

سادت لبرهة جلبة سجال كلامي حاد قاطعه وصول أحد رجال
الشرطة الذي همس عبارات ما في أذن الكوميسير.

- «دعه يدخل!».

وما لبث أن دخل عليهم رجلٌ بورجوازي المظهر، خمسيني
منكزّش تتدلى من حزامه سلسلة ساعة ذهبية. وبدأ حريصاً على
مظهره الرصين لا بل المتعالي قليلاً.

- «لقد طُلب إليّ أن احضر... بأدرهم بالقول وهو يتلفت من
حوله بشيء من الدهول».

- «هذا أنت يا سيد لانييه! قال الكوميسير مُرحباً. تفضل
بالجلوس. أعذرني للإزعاج الذي سببته لك، ولكن أودّ أن أعرف إذا
كنت لاحظت، خلال نهار أمس، أي نقصٍ في أموال الصندوق في
محلّك».

فحفظت عينا صاحب متجر الشوكولاته في شارع ليوبار، وردّد
بتعجب:

- «صندوق المحلّ؟...».

وكان شابو الأب يرمقه بنظرات قلقة، وكان إجابة الرجل
ستدفعه الى اتخاذ قرار حاسم بشأن القضية.

- «أحسب أن فقدان ألفي فرنك مثلاً أمرٌ تسهل ملاحظته؟».

- «ألفي فرنك؟... صدقاً، أنا لا أفهم...».

- «ليس مهمّاً أن تفهم! ولكن أجب عن سؤالي! هل لاحظت نقصاً
في الصندوق؟...».

- «لا، على الإطلاق!».

- «يوم أمس زارك ابن أختك في المحلّ اليس كذلك؟».

- «مهلاً... بلى، اعتقد أنه جاء لزيارتي على جاري عادته بين حين وآخر... ليس بهدف الزيارة بل للحصولِ على كمية من الشوكولاته...».

- «الم تلاحظ من قبل أن ابن أختك يختلسُ مالاً من الصندوق؟».

- «مهلاً يا سيّد!».

أبدى الرجل امتعاضه كأنه يتخذُ الحاضرين شهوداً على الإهانة التي ألحقت بعائلته.

- «إن صهري من الثراءِ وسعةِ اليدِ ما يُتيح له أن يوفّر لابنه كلّ ما يحتاج...».

- «أرجو المعذرة يا سيّد لانبيه. إني شاكرُك...».

- «هذا كلّ ما أردت...».

- «كل ما أردتُ أن أعرفه منك، أجل!».

- «ولكن ما الذي يجعلك تظنّ؟...».

- «لا أستطيع أن أقول لك الآن... يا جيران!... اصحب السيّد لانبيه من حيث أتى...».

وعاود الكوميسير زرعه أرض القاعة جيئاً وذهاباً فيما سألت أديل يشيء من الوقاحة.

- «أما زلتُم في حاجة إليّ هنا؟».

فرمقها بنظراتٍ فيها من المعاني ما يكفي لإسكاتها. وراى صمت مطابق لأكثر من عشر دقائق. كأنهم ينتظرون أحداً ما أو شيئاً ما. كان السيد شابو لا يجرؤ على التدخين. ولا يجرؤ على النظر الى ابنه. كان مرتبكاً خجولاً من نفسه كزبون فقير ينتظر في ردهة عيادة طبيبٍ شهير.

أما جان فكان يراقب حركة الكوميسير وفي كل مرة يعبر هذا الأخير من أمامه كان يهَمّ بالتحدّث اليه.

ثمّ سمع أخيراً وقع أقدام في الرواق. وطرق الباب مراراً.

- «أدخل!»-

فدخل رجلان: جينارو، وهو مربع قصير القامة يرتدي بدلة فاتحة اللون ذات سيور، وفيكتور الذي لم يسبق لشابو أن رآه من قبل إلّا في زيّ النادل، وقد ارتدى طقمأ أسود اللون فبدأ كرجل دين. - ولقد تبلّغت استدعاك منذ ساعة و... قال الإيطالي بنبرة تؤدّد.

- «اعلم! اعلم! هلاً أخبرتني إذا كنت رأيت علبة سكاثر غرافوبولوس في حوذة رينه دلفوس خلال الليلة المنصرمة.»

انحنى جينارو معتذراً.

- «أنا لا أكثر كثيراً لأمر الزبائن، ولكن فيكتور قد يجيب عن هذا السؤال...»-

- «حسناً! إذاً أجب أنت!»-

كان جان شابو يُحدّق في عيني النادل، فيما علا صوت أنفاسه

المتسارعة. ولكن فيكتور قَطَب قليلاً وهمس قائلاً:

- «لا أريد أن أسبب آذية لهذين الشابين اللذين طالما
عاملاني بلطف كبير. ولكن أحسب أنني مرغم على قول الحقيقة،
اليس كذلك؟».

- «أجب بنعم أو لا!».

- «الحقيقة، أجل... كان يحمل العلبة .. حتى كدتُ أنصحه
بأن يحترس قليلاً...».

- «غريب أمر هذا الرجل! قال جان مغيظاً. هذا يفوق الحدَّ فعلاً!
الا تخجل من نفسك يا فيكتور؟... اسمع يا حضرة الكوميسير...».
- «اصمت! والآن أخبرني عن حالة هذين الشابين الماديّة».

فأجاب فيكتور مرتبكاً كأنه يعترفُ بما لا يودُّ قوله

- «كانا مدينين لي دائماً بمبلغ من المال... وليس فقط ثمن
الشراب الذي يحتسيانه في الملهى!... إذ كانا أحياناً يقترضان
بعض المبالغ الصغيرة...».

- «وما انطباعك عن غرافويولوس؟».

- «ثري غريب وعابر سبيل. أمثاله هم أفضل الزبائن. لقد طلب
الشمبانيا على الفور دون أن يسأل عن ثمنها. وأعطاني خمسين
فرنكاً بقشيشاً...».

- «ولحت عدداً من الأوراق النقدية من فئة الألف فرنك في
محفظة نقوده...».

- «أجل... كانت محشوة بالنقود... أوراق نقدية فرنسيّة وليس
بلجيكية...».

- «أهذا كل ما لاحظته؟»
- «كان يشبك في ربطة عنقه الماسية رائعة»
- «متى غادر الملهى؟»
- «بعد قليل من مغادرة أديل برفقة زيون آخر. رجل بدين لم يشرب سوى البيرة وأعطاني عشرين سنتيماً بقشيشاً. رجل فرنسي! فقد كان يدخن سجائر فرنسية»
- «ومكثت بمفردك مع صاحب المحل؟»
- «ريثما نطفىء الأنوار ونقفل الأبواب»
- «وعدت مباشرةً الى منزلك؟»
- «وكالعادة! لقد افتقرت عن السيد جينارو عند ناصية شارع هوت سوفيتير حيث يقطن»
- «وعند الصباح، حين عدت الى الملهى ألم تلحظ أي أثر غير معتاد في الصالة؟»
- «على الإطلاق... لم يكن هناك أي أثر للدماء... كانت النساء اللواتي يتولين التنظيف هناك وكنت أراقب عملهن...»
- «كان جينارو يُصغي بأذنٍ نصف صمء، كأن الأمر برمته لا يعنيه في شيء. فسأله الكوميسير»
- «أصحيح أنك في العادة تترك غلّة الامسية في الصندوق؟»
- «من أطلعك على هذا الأمر؟»
- «هذا لا يعنك! أجب عن سؤالى»
- «لا، على الإطلاق! أحملُ المال معي باستثناء القطع المعدنية الصغيرة»

- «يعني؟»-

- «أترك ما يعادل خمسين فرنكاً من القطع المعدنية الصغيرة».

- «لكنه كاذب! صرخ شابو. لقد رأيته أكثر من عشر مرّات لا بل عشرين مرّة يغادر المحلّ دون أن يأخذ المال معه فيقول جينارو:

- «ماذا؟ أهو الذي يزعم...»-

وبدا بوضوح أن عَجْبِه ليس تظاهراً أو تصنعاً. والتقت نحو المرأة.

- «اسأل اديل»-

- «إنه يقول الحقيقة!»-

- «ما لا أفهمه مثلاً هو ادعاء هذين الشابين أنهما عثرا على الجثة داخل الملهى. لقد غادر غرافوبولوس قبل أن اغادر برفقة فيكتور. وما من وسيلة تمكنه من الدخول بعد الإقفال، لقد تمّت الجريمة خارج الملهى، لا أعرف أين... وأرجو المعذرة للهجتي الجازمة. هذان الشابان من زبائني أيضاً... لا بل أكنّ لهما قدراً من المودة والبرهان على ذلك تسامحي بشأن الديون التي تراكمت عليهما للملهى. ولكنّ الحقّ هو الحقّ والقضية من الخطورة بحيث...»-

- «شكراً لك!»-

تردّد بعض الوقت. ثمّ سأل جينارو.

- «أبإمكانني أن أنصرف؟»-

- «أجل، أنت وئادلك! سأستدعيكما عند الحاجة»-

- «أحسبُ أن لا شيء يحول دون فتح الملهى؟».

- «لا، ابدأ!».

وسألت أديل

- «وأنا؟».

- «عودي الى منزلك!».

- «اهذا يعني أنك تطلق سراحي؟».

لم يجب الكوميسير. كان مستغرقاً في التفكير ويداعب محرق غليونه. وعندما غادر الثلاثة معاً، بدت القاعة مقفرة.

لم يبق فيها إلا الكوميسير وجان شابو والدة. ومكثوا جميعهم صامتين.

كان السيد شابو أول من بادر الى الكلام، تردّد طويلاً. وفي آخر الأمر، تنحّض وشرع يقول:

- «أرجو المَعذرة... ولكن اتعتقد حقاً؟...».

- «ماذا؟» قال الآخر، شارداً الذهن.

- «لا أدري... يبدو لي...».

وأشار بيده محاولاً استكمال فكرته المشوشة. إشارة غامضة قد تعني:

«... يبدو لي أن شيئاً ما لا يزال غير واضح في هذه القضية، ان شيئاً ما لا يزال ملتبساً وغير دقيق...».

كان جان قد نهض من مكانه واستعاد بعضاً من حيويته. وتجراً على النظر الى والده.

- جميعهم يكذبون! قال بصوتٍ واضحٍ ومسموعٍ. أقسم انهم يكذبون! هلاً صدقتني أيها الكوميسير؟».

لم يحظ بجواب.

- «اتصدّقني يا ابي؟».

وشرع السيد شابو يهزّ براسه. ثم غمغم قائلاً:

- «لا أدري...».

ثم مُنصتاً الى صوت التعقّل اضاف قائلاً:

- «ربّما ينبغي أن تعثروا على الفرنسي الذي يتحدّثون عنه».

ولا بدّ أن الكوميسير كان لا يزال حائراً في امره، ذلك انه واصل تمشيه في أرجاء القاعة بخطواتٍ متسارعةٍ وحانقة.

- «على كلّ حال، لقد توارى دلفوس عن الانتظار؛ تمتم قائلاً، كأنه يحدث نفسه غير مكترث بهما.

تمشّى قليلاً واردف قائلاً بعد وقت:

- «وهناك شاهدان يؤكّدان انه كان يحمل علبة السجائر المذهّبة!».

واصل حركته متابعاً خيط افكاره:

- «وكتّما انتما الإثنان في القبو!... وهذه الليلة بالذات حاولت أن ترمي بأوراق نقدية في المرحاض.. و...».

ثم توقف ورمقهما احدهما تلو الآخر.

- «حتى صاحب متجر الشوكولاته يُنكر ان يكون تعرّض لاي

اختلاس من أموال صندوقه!».

وغادر القاعة تاركاً الأب وابنه وجهاً لوجه. إلا أنهما لم يفيدا من خلوتهما. وعندما عاد كان الأب والابن يمكنان حيث كانا من قبل، تفصل بينهما مسافة خمسة أمتار، وقد لزم كلُّ منهما صمتاً مطبقاً.

- «الامر سيان عندي! لقد اتصلت للتوّ بقاضي التحقيق! ومن الآن فصاعداً سيتولى التحقيق بنفسه! انه يرفض أي إجراء لإطلاق سراح المتهم بصورة مؤقتة. وإذا كانت لديكم مطالب ما فما عليكما إلا التماسها لدى القاضي دوكونينك...».

- «فرنسوا؟».

- «أجل أعتقد أن هذا هو اسمه».

فقال الأب، بصوت خفيض وخجول:

- «لقد كنتاً معاً في المدرسة».

- «حسناً إذاً، إذهب وقابله إذا كنت تحسب أنه قد يفعل شيئاً من أجلك. ولكني، شخصياً، غير مقتنع بأنه سيفعل، لأنني أعرفه جيداً! وفي الأثناء اعطاني الأوامر الصريحة بأن أودع ابنك سجن سان ليونار...».

لقد كان وقع هذه الكلمات مُغماً. فحتى تلك اللحظة كانت الامور لا تزال غير قاطعة أو نهائية.

سجن سان ليونار! ذلك المبنى الأسود المقيت الذي يُضفي الكثير من البشاعة على أجواء حيّ كامل، قبالة جسر ماغان، بأبراجه القروسطية وكوى زناناته وقضبانها الحديدية...

مكث جان صامتاً وقد امتنع لونه.

- «جيرار!... نادى الكوميسير وهو يفتح أحد الأبواب. اصطحب شرطيين وسيارة...».

وكانت هذه العبارة كافية لإفهامه ما ينبغي أن يفعله، ثم مكث الجميع في الانتظار.

- «لا خسارة من القيام بزيارة للسيد دو كوينك! قال الكوميسير متنهداً لمجرد أن يقول شيئاً يكسر به سلطان الصمت. ما دمت تعرفه منذ أيام الدراسة...».

إلا أن سحنته كانت تفضح ما يدور فعلاً في خَلده: فقد كان يعقد المقارنة البسيطة بين القاضي، سليل أسرة من القضاة تنتمي إلى أعيان المدينة، والمحاسب المتواضع الذي يعترف ابنه بأنه كان مصمماً على السطو على صندوق المهلى الليلي.

- «إننا جاهزون أيها الرئيس!... قال المفتش فور دخوله. أينبغي...».

وكان شيء ما يلتمع بين يديه. فهز الكوميسير كتفيه بالإيجاب. كان تثبيت القيد في المعصمين مجرد حركة روتينية لم تستغرق أكثر من ثانية واحدة حتى أن الأب لم يتنبه إلى ما جرى إلا بعد أن وضع القيد في يدي ابنه. فقد أمسك جيرار بمعصمي جان. وتكئة معدنية واحدة.

- «من هنا!».

الأصفاد! وشرطيان ببرتھما النظامية كانا ينتظران في الخارج قرب سيارة!».

تقدم جان بضع خطوات. حتّى بدأ أنّه مصمّم على الرحيل دون
أن يقول شيئاً. ومع ذلك، حين وصل الى الباب التقت الى الوراء.
وبالكاد سمع صوته الواهن يقول.
- «اقسم لك، يا أبي...».

- «ولكن قل، بشأن الغلايين، لقد فكّرت ملياً صباح اليوم، ماذا
لو نطلب ثلاث دزينات...».

كان ذلك المفتش المولع بالقلابين الذي دخل دون أن ينتبه فعلاً
الى ما يجري، ورأى فجأة ظهر الفتى مبتعداً وطرف معصمه مكبلاً
بالاصفاد، فقطع كلامه معلّقاً: «إنّذا، لقد قضى الأمر؟».
واشار بما معناه: «انتهت القضية؟».

فاشار الكوميسير الى السيّد شابو الذي تهالك جالساً وقد غطّى
وجهه بكفيه وجعل يبكي كامرأة.

وتابع الآخر كلامه بصوت خفيض:

- «... بإمكاننا أن نصرف الدزينة الثالثة في المفارز الأخرى...
فالسعر مُفرّج...».

صوت باب سيارة يُغلق. ثم هدير المحرك...

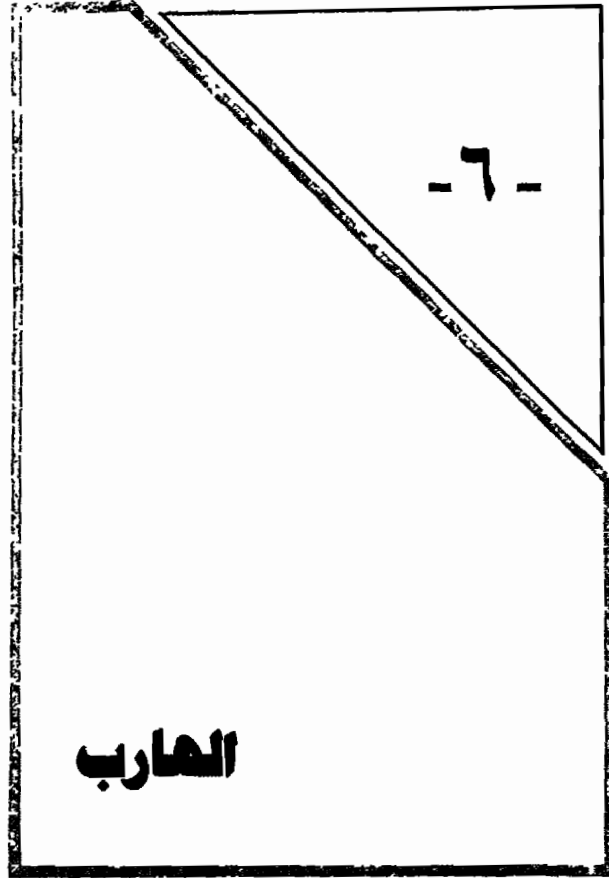
وكان الكوميسير يقول للسيّد شابو بشيء من الحرج:

- «انت تعلم جيداً... أنّ الامور لم تبت بعد نهائياً...».

واضاف بنبرة من يفضحه كذبه:

... خصوصاً أنك صديق السيد دوكونينك!.

فما كان من الأب الذي هم بمغادرة القاعة إلا أن نادله ابتساماً
امتنانٍ صفراء.



عند الواحدة ظهراً، صدرت الصحف المحلية وقد صدرت صفحاتها الأولى بعناوين مثيرة. كان عنوان الـ «غازيت دولبيج»، الصحيفة الرصينة، على النحو التالي:

قضية حقيبة القنب

إن مرتكبي الجريمة هما شابان داعران

وكتبت صحيفة «فالونتي سوساليست» من جهتها:

جريمة شابين بوجوازيين

كما أعلنت الصحف نبأ اعتقال جان شابو، وتواري دلفوس عن الانتظار، كما نشرت صورة لمنزل شارع لا لوا.

كذلك أوردت المعلومات التالية:

«... على اثر اللقاء المؤثر الذي جمعه ببيته في مركز الأمن العام، لازم السيد شابو منزله مختاراً العزلة التامة ورامضاً الإدلاء بأي تصريح. أما السيدة شابو التي هالتها الصدمة فهي طريحة الفراش...»

* * *

«لقد تمكّنتُ من الاتصال بالسيد دلفوس فور عودته من «هوي»
حيث يمتلك عدداً من المصاسع. إنه رجل حيوي، على مشارف
الحمسين، لا يخبو بريق الذكاء من عينيه الفاتحتين لحظة واحدة.
لقد تلقى الصدمة بدم بارد. إنه واثق من براءة ابنه وصرح لنا بأنه
سيهتم بهذه القضية شخصياً...».

* * *

. لقد أقدنا من سجن ليونار أن جان تسابو يُحافظ على هدونه.
وهو ينتظر زيارة محاميه قبل أن يمثل أمام قاضي التحقيق
دوكتينك الذي كلّف بهذه القضية...».

* * *

كان شارع لا لوا هادئاً على جاري عادته كان التلاميذ يدخلون
إلى ملعب المدرسة حيث يلهون في انتظار جرس الدوام.
بين بلاطات الرصيف نبتت أعمار من العشب، وثمة امرأة، عند
الرقم ٤٨، تغسل عتبة دارها بفرشاة من الياقِ الشوك.
أما الجلبة الوحيدة فكانت تلك الطرقات المتقطعة التي تنتهي
من دكان صانع الأواني النحاسية.
إلا أن الأبواب كانت غالباً ما تفتح بحركاتٍ مباغته فتطل منها
رؤوس تلقي بنظرة عاجلة في اتجاه الرقم ٥٣. وكانت تلك الرؤوس
حين تتلاقى تتبادل بعض العبارات العاجلة من عتبة إلى عتبة.
- «أعقل أن يكون هو مرتكب الجريمة!... إنه لا يزال صبيّاً
برفقة أبناي...»
- «لقد قلت لزوجي حين لمحت مرتين يعود إلى البيت ثملاً... في
سنّه!...».

كُلُّ ربيع ساعة تقريباً كان يُقرع الجرس في فناء دار آل شابو.
وكانت الطالبة البولندية هي التي تفتح الباب.

- «السيد والسيدة شابو ليسا هنا...، كانت تجيب بلهجة تشويها لكثة أجنبية واضحة.

- «غازيت دولييج... هلاً أخبرتهما أن...».

ويعمد الصحافي الى مطّ عنقه لإلقاء نظرة خاطفة على الداخل.
فيلمح في المطبخ خيالاً غير واضح لرجل جالس.

- «لا تتعب نفسك، إنهما ليسا هنا...».

- «ولكن...».

كانت الطالبة البولندية تغلق الباب. وينصرف الصحافي الى طرح أسئلته على الجيران.

احدى الصحف نشرت عنواناً تفردت به عن الصحف الأخرى.

أين الرجل ذو المنكبين العريضين؟

وضمّنت التفاصيل ما يلي:

«الجميع حتّى الآن مقتنع بتجريم دلفوس وشابو وبدون أن تكون في صفّ الدفاع عنهما وبالترامنا الموضوعية في استقراء الوقائع، يحقّ لنا، مع ذلك، أن نعبر عن دهشتنا لاختفاء شاهد مهمّ: الزبون ذو المنكبين العريضين الذي كان حاضراً في الغيه مولان ليلة ارتكاب الجريمة.

موتقيد اقوال نادل الملهى أنّه فرّسي شوهد للمرّة الأولى والأخيرة في تلك الليلة. فهل غادر المدينة؟ أم انه يؤثّر عدم التعرّض لاستجواب الشرطة؟

«قد لا يكون طرف الخيط هذا على قدر قليل من الأهمية، وفي حال إثبات براءة التماس، ربما كان هذا الخيط هو الذي يوضح ملابسات الجريمة.

موقد بلغتنا معلومات أن الكوميسير دلفيني الذي يتابع التحقيق يتعاون وثيق مع قاضي التحقيق قد أعطى أوامره للمفرزة المختصة ولرجال شرطة السير بالعمل على العثور على ريبون الغيبه مولان المتواري عن الأنظار...»

لقد صدرت طبعة الصحيفة قبل الساعة الثانية ظهراً بقليل.. وعند الثالثة دخل رجل بدين إلى مركز الشرطة وطلب مقابلة السيد دلفيني وقال له

- «أنا مدير فندق «أوتيل مودرن»، القائم في شارع بون دافروي لقد قرأت الصحف لتوي وأعتقد أن بإمكانني تزويدكم ببعض المعلومات بشأن الرجل الذي تبحثون عنه.»
- «الفرنسي؟»

- «أجل. وبشأن الضحية أيضاً. في العادة لا أبالي كثيراً بالهراء الذي تنشره الصحف ولذلك لم أنتبه إلى ما سأقوله إلا فيما بعد. لنسر قليلاً... في أي يوم نحن؟... الجمعة... إذاً كان ذلك يوم الأربعاء... لقد وقعت الجريمة يوم الأربعاء، اليس كذلك؟... لم أكن هنا... لقد ذهبت في ذلك اليوم إلى بروكسل لقضاء بعض المشاغل... وجاء زيبون إلى الفندق، كانت له كنة أجنبية واضحة، ولا حقايب معي سوى حقيبة سفر صغيرة من جلد الخنزير... طلب غرفة فسيحة تطل على الشارع وصعد إليها مباشرة... وبعد دقائق معدودة جاء زيبون آخر ونزل في غرفة مجاورة...»

- «في العادة تملأ استمارة الإقامة عند وصول الزبون... ولا

أعرف بالضبط لماذا لم يتم ذلك في حينها... عدتُ الى الفندق نحو منتصف الليل. والقيت نظرة على لوحة المفاتيح...».

- «الديك الاستثمارات؟ سألتُ عاملة الصندوق».

- «كلها باستثناء استمارتي الزيونين اللذين غادرا مباشرةً بعد

وصولهما».

صباح يوم الخميس، كان احدهما قد عاد فقط. ولم انشغل كثيراً بشأن الآخر ظناً مني انه لا بد ان يكون مستغرقاً في البحث عن رفقةٍ مسلّية.

لم يتسن لي خلال النهار ان التقي الزيون الجديد، وصباح اليوم قيل لي انه سدّد حسابه وغادر الفندق. وعندما طلبت اليه عاملة الصندوق ان يملا الاستمارة، هرّكتفيه وغمغم قائلاً ان لا جدوى من ذلك لانه سيغادر على الفور.

- «عفواً! قال الكوميسير مقاطعاً. اهو الرجل الذي تنطبق عليه اوصاف الرجل ذي المنكبين العريضين الذي تحدّثت عنه الصحيفة؟».

- «أجل... غادر حاملاً حقييته الوحيدة نحو التاسعة صباحاً...».

- «والآخر؟».

- «بما انه لم يعد، دفعتني فضولي الى الدخول الى غرفته بواسطة المفتاح العمومي الذي نستقيه معنا تحسباً لأي حالة طارئة. وهناك قرأت على حقيية الجلد اسماً: إفرائيم غرافوبولوس. وهكذا علمت ان الرجل الذي عثر عليه في حقيية القنب هو نزيل فندي...».

- «هذا يعني أنهما وصلا بعد ظهر يوم الأربعاء، قبل بضع ساعات من وقوع الجريمة، وأنهما وصلا الى الفندق واحدهما تلو الآخر. كما لو أنهما وصلا الى المدينة على متن القطار نفسه!».

- «أجل! على متن القطار السريع القادم من باريس».

- «وفي المساء غادرا الفندق واحدهما تلو الآخر».

- «دون إملاء الاستمارة».

- «تمّ عاد الفرنسي بمفرده، وغادر الفندق هذا الصباح».

- «بالضبط! أرجو منك أن تعمل على عدم ذكر اسم الفندق في ما تنشره الصحف، فمن شأن ذلك أن يؤثر على حركة الزبائن».

ولكن في تلك الأثناء كان أحد خدم الفندق يروي القصة نفسها لأحد الصحافيين. وعند الخامسة مساءً، كان يوسع القراء أن يجدوا في الطبعة الأخيرة من الصحف المحلية كلّها هذا النبأ

التحقيق يتخذ منحى مختلفاً.

هل الرجل ذو المنكبين العريضين هو القاتل؟

كان نهراً مشرقاً، تتدفق الحياة حركةً في شوارع المدينة المشمسة. وبين حشد المارة كان الشرطيون الموزعون في الأنحاء يحاولون التعرف الى الرجل الفرنسي المطلوب. وفي المحطة كان أحد مفتشي الشرطة يقف خلف كل موظف من موظفي شبك التذاكر، يُدقق في سُحْن المسافرين ومظهرهم.

شارع بودور، شاحنة تفرغ قبالة الغيه مولان صنديق شمبانيا يتولّى العاملون انزالها الى القيو على التوالي، عبر الصالة التي تسودها ظلال فاترة. كان جينارو يراقب عملية التفريغ برديته

المستعارين وسيجارته المثبتة بين شفثيه. وكان يهز رأسه كلما توقف
عابراً هامساً في أذن رفيقه بشيء من التهيب:
- «هذا هو المكان!...».

كان المارة يتوقفون ويدفعهم فضولهم الى استراق نظرات عاجلة
الى الداخل حيث تسود عتمة خفيفة فلا يرى من محتويات الصالة
إلا المقاعد المنجدة بالمخمل الأحمر وطاولات الرخام.
عند التاسعة أضيئت الأنوار وبدأ العازفون يدوزنون آلاتهم،
وعند التاسعة والرابع كان ستة صحافيين يجلسون الى البار
ويتحدثون بشيء من الاهتمام والحماس.

عند التاسعة والنصف كان الزبائن يتحلقون حول نصف
طاولات الصالة، وهو الأمر الذي لا يحصل عادة إلا مرة واحدة في
السنة. ليس فقط الشبان الذين اعتادوا على ارتياد الملاهي الليلية
والمراقص، بل جلهم من الرجال المحترمين الذين يدخلون لأول مرة
في حياتهم الى أماكن سيئة السمعة والصيت. أتى الجميع لمعاينة
المكان. لم ينهض أحد منهم الى حلبة الرقص، كانوا يكتفون بالنظر
ملياً الى صاحب المحل، ثم فيكتور ثم الراقص المحترف. وكان
بعضهم يذهب مراراً الى حجرة المغاسل لمعاينة درج القبو الذي
أصبح شهيراً.

- «بسرعة! بسرعة!» كان جينارو يحث الخادمين اللذين انهمكا
في تلبية الطلبات الكثيرة.

وكان يُشير الى الفرقة الموسيقية بتوجيهات صامتة. وسأل امرأة
بصوت خفيض:

- «الم تلمحي أديل؟ لقد حان لها أن تصل!».

ذلك أن أديل هي التي كانت تستقطب الأنظار ويودّ الفضوليون أن ينظروا إليها عن كثب

- «انتبه! همس أحد الصحافيين في أذن زميل له. إنهما هنا...».

وأشار الى رجلين يجلسان الى طاولة قربَ البابِ المبطنِ بالمخمل. كان الكوميسير دلفيني يحتسي جرعات من البيرة فتعلق بقاية الرغبة على شاربيه الأصبهين. وبجانبه المفتش جبرار الذي يستغرقُ في تأمل الزبائن واحداً تلو الآخر

عند العاشرة كانت أجواء الملهى قد أصبحت مميّزة بالفعل. وكأنّه ليس ملهى الغيه مولان برواده القلائل وبعض عابري السبيل الذين يبحثون عن رفقة لتلك الليلة.

وكان وجود رجال الصحافة الملحوظ يذكّر بالفترات التي تشهد فيها المدينة إحدى المحاكمات الكبرى أو إحدى الأمسيات الراقصة

الذين اعتادوا على تغطية مثل تلك الأحداث كانوا جميعهم هناك. ليس فقط من مراسلي الصحف بل وأيضاً المحرّرون. حتّى أنّ إحدى الصحف انتدبت مدير تحريرها للحضور. بالإضافة الى كلّ من اعتادوا ارتياد المقاهي الكبيرة، من يحبّون الإفادة من لحظات العيش، كما يُقال في الأرياف عادة، والنساء الجميلات.

في الشارع نحو عشرين سيّارة رُكّنت بمحاذاة الرصيف. وكان الوافدون الجدد يلقون التحيّة من طاولةٍ إلى أخرى، فيما ينهض من سبقهم للمبادرة الى مصافحة الأيدي.

«هَسْ! لا تتكلم بصوت عالٍ! ذو الشعر الأصهب هناك انه الكوميسير دلفيني. فإذا تكبّد مشقة المجيء الى هذا المكان فلآن...».

«من هي أديل؟ أهي الشقراء البدينة؟».

«لم تصل بعد!».

ثم وصلت أديل، وكان دخولها الصالة لافتاً، بمعطفها الساتان الأسود الفضفاض المبطن بالحرير الأبيض. كانت تتقدم بضع خطوات ثم تقف وتنظر من حولها بعدم اكتراث ثم اتجهت نحو الفرقة الموسيقية ومدّت يدها لتصافح قائد الأوركسترا.

التماع فلاش. لقد التقط أحد المصورين صورة لصحيفته إلا ان المرأة الشابّة هزّت كتفها كأنها لا تبالي لاقبال هذا الحشد عليها.

«خمسة كؤوس من البورتو، خمس كؤوس!».

وكان فيكتور وجوزيف في حركة دائمة وقد أنهكما التجوال بين الطاولات لتلبية الطلبات الكثيرة.

كانها ليلة احتفال. لكنّه احتفال يقصده المرء لمراقبة الآخرين فيما انفرد الراقصون المحترفون بحلبة الرقص في ادائهم رقصاتهم المعتادة.

«لا أرى ما يفوق العادة في هذا المكان! قالت امرأة لزوجها الذي اصطحبها الى الكباريه لأول مرّة في حياته. فانا لاأجد شيئاً ممّا يثير العجب.».

دنا جينارو من الشرطيين.

- «أرجو منكما العذرة. ولكن أودّ أن أستأنسَ براكما.
أعتقدان أنه ينبغي أن نتابع برنامج العرض كالمعتاد في كل ليلة»..
أقصد أن على أديل أن ترقص الآن...»
هزّ الكوميسر كتفيه مشيحاً بوجهه.
- «إنما أسأل لكي أتلاقي ما من شأنه أن يزعجكما...»
كانت المرأة الشابة تجلسُ الى البار وقد تطلق حولها عدد من
الصحافيين يتحدثون اليها.
- «الخلاصة أن دلفوس سطا على محتويات حقيبتك. هل اتخذته
عشيقاً منذ وقت طويل؟»
- «أنه لم يكن حتى عشيقتي!»
وبدا عليها بعض الاحراج، إذ كان عليها أن تبذل جهداً
استثنائياً لمواجهة كلّ العيون التي ترمقها بنظرات فضول.
- «لقد شربت الشامبانيا في صحبة غرافوبولوس. براك، الى اي
نوعٍ من الرجال كان ينتمي؟»
- «كان رجلاً لطيفاً! ولكن دعوني وشأني..» وذهبت الى المدخل
لتخلع معطفها، وبعد ذلك بقليل دنت من جينارو.
- «هل أرقص؟»
كان حائراً في أمره. ينظرُ الى كلّ ذلك الحشد بشيء من التوجّس
والقلق، كأنه يخشى أن يقلت زمام الأمور من يديه.
- «تراهم ماذا ينتظرون»
أشعلت سيجارة وأسندت كتفها الى حافة البار زائغة العينين

دون أن تجيب عن الأسئلة التي واصل الصحافيون طرحها عليها.

ثم سمع صوت امرأة بدينة من الزبائن تقول:

- «إنه لمضحك حقاً أن تدفع عشرة فرنكات ثمناً لكأس الصودا وليس هناك حتى ما تتفرّج عليه!».

ومع ذلك كان هناك ما يستحقّ المشاهدة، ولكن فقط لمن يعرف جيداً أبطال المأساة. رفع البوابُ في ثيابه الحمراء الستار المخملي الذي يحجب الباب فدخل رجلٌ خمسيني ذو شاربين رماديين، ولم تلبث معالم الدهشة أن ارتسمت على وجهه لرؤيته الحشد داخل الصالة.

كاد يتراجع لوهلته إلا أن عينيه صادفتا أحد الصحافيين الذي عرفه على الفور ولكز جاره بمرفقه. وعندئذ صمّم على متابعة طريقه بشيء من اللامبالاة، وتقدّم الى الداخل نافضاً رماذ سيجارته.

كان اتنيق المظهر، وتتمّ أناقته عن خبرة واسعة في اقتناص لحظات العيش الحقّة وتجربة لا يستهان بها بحياة الليل.

تقدّم مباشرة نحو البار، وخاطب جينارو.

- «هل انت صاحب المحلّ».

- «أجل يا سيّدي».

- «أنا السيّد دلفوس! يبدو أنّ ابني مدين لك ببعض المال؟».

- «يا فيكتور!».

فهرع فيكتور اليه.

- «إنه والد رينه، جاء يسأل بكم هو مدين لك».

«مهلاً ريثما أتتحق من الدفتر... السيد رينه وحده؟ أم السيد رينه وصديقه؟.. هه. مئة وخمسون فرنكاً وخمسة وسبعون سنتيماً. . بالإضافة الى عشرة فرنكات ومئة وعشرين أخرى من حساب ليلة أمس...».

أعطاه السيد دلفوس ورقة من فئة الألف فرنك وقال بنبرة جفاء:

«احتفظ بالباقي!».

«شكراً لك يا سيدي! شكراً جزيلاً! الا ترغب في احتساء شراب

ما؟».

إلا أن السيد دلفوس كان قد عاود أدراجه في اتجاه الباب دون أن ينظر الى أي من الحضور. ومرّ بمحاذاة طاولة الكوميسير الذي لا يعرفه. وعندما همّ بالخروج من الباب لامست كتفه كتفَ وافدٍ جديد فلم يكثر له وصعد الى سيّارته.

ومع ذلك فإنّ الحدث المهمّ المرتقب طيلة السهرة كان قد أوشك موعده. إذ دخل رجل طويل القامة عريض المنكبين غليظ الوجه وقد التمعت عيناه بنظراتٍ هادئة.

ولم تلبث أديل، وكانت أول من رآه، ربّما لأنها مكثت تراقب باب المدخل، أن اتسعت حدقتها لفرط دهشتها.

كان الوافد الجديد يتقدّم نحوها ويمدّ لها كفّاً مكتنزة لحيمة.

«كيف حالك، منذ تلك الليلة؟».

حاولت أن تنقسم له.

«شكراً لك! وأنت؟».

كان الصحافيون يراقبون المشهد ويتبادلون الهمس.

- «أراهنك بما تشاء أنه هو!».

- «الرجل المقصود لن يأتي الى هنا هذه الليلة!».

وكما لو أنه يتصرف بتحدٍ ما، سحب الرجل من جيبه كيس تبغ رمادياً وراح يحشو منه غليونه.

- «كوب بيرة شقراء!» قال مخاطباً فيكتور الذي مرّ بمحاذاته حاملاً صينية مملأى بالكؤوس.

فأجاب فيكتور بإشارة من رأسه وتابع طريقه مازاً بمحاذاة طاولة الشرطيين فهمس بسرعة:

- «إنه هو!».

كيف شاع الخبر؟ أمرٌ غامض. ولكن بعد دقيقة واحدة كانت الأنظار كلها شاخصة في الرجل ذي المنكين العريضين الذي جلس جانبياً على كرسي عالٍ أمام البار، وراح يشرب ببيته بجرعات صغيرة متأملاً الحضور عبر زجاج الكوب المغبّش.

لثلاث مرّات على التوالي كان على جينارو أن يشير الى العازفين بالانتقال الى لحنٍ جديد. وحتى الراقص المحترف نفسه، لم يستطع فيما يراقص شريكته إلا أن ينظر الى الرجل متأملاً في سحنته.

وكان الكوميسر دلفيني والمفتش يتبادلان إشارات مقتضبة، فيما مكث الصحافيون يراقبون ما يدور بينهما من بُعد.

- «الآن؟».

ثم نهضاً معاً وتقدّما نحو البار بخطوات رخوة.

استند الكوميسير ذو الشاربين الأصهبين الى حافة البار قبالة
الرجل. ووقف جيران خلفه تحسباً لأي مقاومة.

لم تتوقف الموسيقى. ومع ذلك كان الحاضرون يشعرون بوطأة
صمتٍ ثقيل وغير عادي.

- «أرجو المذرة! لقد نزلت في فندق «أوتيل مودرن» أليس
كذلك؟».

فهبطت نظراتٌ ثقيلة على سحنة السائل.

- «ويُعد؟».

- «اعتقد أنك نسيت أن تملأ الاستمارة».

كانت اديل تقف على بعد ثلاث خطوات، لا تفارقُ عيناها سحنة
الغريب. اما جينارو فكان يُطلقُ سداًة احدى زجاجات الشمبانيا.

- «إذا كنت لا تمانع، أودُ أن ترافقنا الى المكتب حيث بإمكانك
أن تملأ الاستمارة... وحذار! إيّاك والمعاندة...».

كان الكوميسير دلفيني يتتبع من استعداد شريكه ويتساعل عيثاً
عمّا يُثير لديه هذا الشعور الغريب.

- «هلاً تبعتني؟».

- «مهلاً...».

ودسّ يده في جيبيه. فظنّ المفتش جيران أنه يريد أن يشهر
مسدساً فارتكب هفوة اشهار مسدسه.

نهض عددٌ من الزبائن فجأة واطلقت امرأة صرخة هلع. ولكن

الرجل لم يخرج من جيبه إلا بعض القطع النقدية المعدنية وضعها فوق البار قائلاً:

- «سأتبعك!».

لم يغادروا الصالة كما أراد الكوميسير. ذلك أن مسدس المقتش قد أخاف الزبائن وإلا لتحلق هؤلاء على الجانبين. كان الكوميسير يسير في الطليعة يتبعه الرجل ثم جيرار الذي امتنع لونه بسبب هفوته التي لا تغتفر.

التمع فلاش أحد المصورين. وفي الخارج كانت سيارة تنتظر.

- «هلاً سعدت أولاً...».

كانت المسافة التي تفصل الملهي عن مركز الشرطة لا تستغرق أكثر من ثلاث دقائق في السيارة. وكان مفتشو الخدمة الليلية منهمكين بلعبة الورق واحتساء أكواب البيرة التي استقدموها من مقهى مجاور.

دخل الرجل كأنه يدخل الى داره، ونزع قبعته المستديرة وأشعل غليوناً ضخماً ينسجم حجمه مع مظهر وجهه المكتنز.

- «أتحمل أوراقاً ثبوتية؟».

كان دلفيني عصبي المزاج. فثمة ما لا يروق له في هذه القضية دون أن يعرف ما هو بالضبط.

- «لا أحمل أوراقاً على الإطلاق!».

- «أين وضعت حقيبتك بعد مغادرتك الفندق؟».

وحاول الكوميسير أن يرمق الرجل بنظرة صارمة لكن نظرتة لم

تلبث أن وهنت حين رأى المتهم يداعبه مثل طفل.

- «لا أدري!»

- «كنيتك، واسمك ومهنتك وعنوانك...».

- «مكتبك هناك؟».

وأشار الى الباب الذي يفضي الى غرفة مكتب خالية ومعتمة.

- «ويعد؟».

- «تعال معي!».

كان الرجل الغريب قد سبقه الى غرفة المكتب وأدار زر الإضاءة
وأغلق الباب.

- «أنا الكوميسير ميغريه، من أفراد الشرطة القضائية في باريس!
قال وهو يطلق نفثات منقطعة من غليونه المشتعل. هيا أيها الزميل!
أحسب أننا أبلينا بلاءً حسناً هذه الليلة. ثم لديك غليون
جميل!...».

-٧-

الرحلة الفريجة

- «على الأقل، لن يهرع الصحافيون اليانا؟ أوصد الباب بالمفتاح، لو سمحت؟ الأفضل أن نتحدّث على انفراد».

كان الكوميسير دلفيني يرمق زميله بنظراتٍ تنمّ عن ذلك الإعجاب اللاإرادي الذي يبديه أهل الريف عادةً، وخصوصاً في بلجيكا، حيال كلّ ما يأتيهم من باريس. هذا بالإضافة إلى إحساسه العميق بالضيق للهفوة التي ارتكبها وأراد أن يعتذر.

- «لا ينبغي أن تعتذر على الإطلاق! قال ميغريه جازماً. لقد أردتُ أن تعنقني بأيّ ثمن! وسأمضي في اللعبة الى أبعد من ذلك: بعد قليل ستودعني السجن وسأمكث فيه المدة الضرورية. ويجب أن يقتنع المفتشون الذين يعملون هنا بجديّة هذا الاعتقال».

ثم تتبّه الى سحنة زميله! فقهقه ضاحكاً لما بدت عليه سحنة البلجيكي من استهجان. كان ينظر الى ميغريه بطرف عينه حائراً في أمر ما ينبغي أن يفعله حيال ذلك. وبدا واضحاً أنه يخشى أن يظهر المغفل. وحاول عبثاً أن يعرف يقيناً إذا كان زميله يسخر منه أم لا.

وبالعدوى أثار ضحك ميغريه لديه نوبةً من الضحك المماثل.

- «هيا! هيا! ياله من مزاح! ان اودعك السجن! .. ها .. ها ..»
- «اقسم لك انني لا امزح بل اصبر على ذلك»
- «ها .. ها ..»

قاوم الفكرة طويلاً. ولكن عندما ايقن من جدية الكلام الذي
يسمعه احس بارتباك شديد.

جلسا وجهاً لوجه تفصل بينهما طاولة محملة بأكوابٍ من
الملفات. ومن حينٍ لآخر كان ميغريه يسترقُ نظرة إعجاب الى غليون
زميله

- «سأشرح لك .. قال. أرجو المعذرة لأنني لم اطلعك على هذا
الامر من قبل، ولكن الأمر كان مستحيلاً كما ستري بعد قليل. لقد
وقعت الجريمة يوم الأربعاء، اليس كذلك؟ حسناً! يوم الاثنين كنت
في مكتبي، القائم في الكلية ديزورفير، عندما سلّمني أحدهم بطاقة
زيارة باسم المدعو غرافوبولوس. وكالعادة، قبل ان أستقبله عمدت
الى الاتصال بمكتب قيد الاجانب لاستعلم عنه. فلم اجد شيئاً
يذكر! فقد كان غرافوبولوس قد وصل لتوه إلى باريس...

«وعندما دخل الى مكتبي بدا لي مضطرباً. وشرح لي أنه كثير
الأسفار وأن لديه اسباباً تدعوه للخشية من تعرض حياته للخطر،
ويختم حديثه بسؤال عن نفقات حمايته ليلاً نهاراً بواسطة أحد
مفتشي الشرطة.

«مثل هذا الامر شائع. فأطلعت على التعرفة المتبعة. لكنّه اصّر
على تكليف مفتش ذي خبرةٍ ودراية بهذا الشأن، أما الاسئلة التي
طرحتها عليه حول الاخطار التي تحدّق به والاعداء المحتملين فظلت
من دون اجوبة مقنعة.

– «اعطاني عنوانه في «الفران أوتيل» وعند المساء أوفدت اليه المفتش المطلوب.

«في صباح اليوم التالي استكملت استقصاءاتي عن الرجل الأجنبي وأقادتني سفارة اليونان انه ابن أحد كبار مصرفيي أثينا وأنه يعيش متنقلاً بين بلدان أوروبا حياة الأثرياء الكبار المتبذلة.

«أراهن أنك أصبحت ترى فيه صورة المغامر».

– «بالضبط. هل أنت واثق...؟».

– «مهلاً! مساء يوم الثلاثاء أفادني المفتش المكلف بحماية غرافوبولوس أنّ هذا الأخير يبذل جهده طيلة الوقت محاولاً تضليل مرافقه الذي يقتفي أثره. ولهذا الغرض يستخدم الحيل الشائعة كالبيوت ذات المدخلين وتبديل سيارات الأجرة التي يستقلها باستمرار. ويضيف المفتش أن غرافوبولوس قد حجز تذكرة سفر على متن إحدى الطائرات المتوجهة الى لندن صباح يوم الأربعاء.

«ويامكاني الآن ان اعترف: ان فكرة القيام برحلة قصيرة الى لندن، وخصوصاً على متن الطائرة، قد راقت لي. فعزمت على اقتفاء أثره على نفقتي الخاصة».

«في صبيحة يوم الأربعاء، غادر غرافوبولوس فندق «گران أوتيل»، ولكن بدل أن يتوجه الى مطار بورجيه، استقل سيارة أجرة نقلته الى محطة «الشمال» حيث اشترى تذكرة قطار للسفر الى برلين...»

«فاستقأيت العربية عينها. ولا أدري إذا عرفني أثناء الرحلة، إلا أنه لم يتوجه إلي بكلمة واحدة».

«ثم نزل من القطار في لبيج فتبعته. ونزل في غرفة في «الأوتيل»

مودرن» فاخترت أن أنزل في غرفة مجاورة لغرفته.

«تناولنا طعام الغداء في مطعم خلف «التياتر رويال»..»

- «لا بيكاس! قاطعه السيد دلغيني. انه يقدم أطباقاً شهية!».

- «خصوصاً طبق الكلى المطبوخة على الطريقة المحلية، صحيح! ولاحظت أن غرافوبولوس يزور مدينة لياج للمرة الأولى أو على الأقل هذا ما بدا لي. فقد ارشده موظف الاستعلامات في المحطة الى فندق «أوتيل مودرن». كما نصحه بواب المطعم بارتياح الغيه مولان».

- «هذا يعني أنه ذهب الى هناك بمحض المصادفة!» قال الكوميسير دلغيني ساهماً.

- «اعترف أنني لا أعرف شيئاً بهذا الشأن. ولكن ما رأيته ان راقصة تعمل في الملهى كانت تجلس الى طاولته، وهو أمر طبيعي. والحقيقة أنني ضجرت كثيراً هناك، ذلك اني لست ممن تستهويهم مثل هذه العلب الليلية. في البداية حسبتُ إنه سيصحب المرأة الى غرفته. وعندما رأيتها تهتمُّ بالمغادرة بمفردها رافقتها لبعض الطريق، مما اتاح لي أن اطرح عليها بضعة أسئلة. فأكدت لي انها المرة الأولى التي ترى فيها هذا الرجل الأجنبي وأنه ينتظرها لكتبا لن تذهب الى مواعده، وأضافت أنه مضجر.

«وهذا كل شيء. عندئذٍ عدت ادراجي. كان صاحب المحل يُغادر برفقة النادل. وحسبت أن غرافوبولوس قد غادر بدوره فأوليت باب الملهى ظهري ورحتُ أبحثُ عنه في الشوارع المجاورة.

«ثم قصدتُ الفندق للتحقق من أنه لم يعد اليه. وعندما عدتُ الى الغيه مولان كانت ابوابه لا تزال مغلقة وأضواء الداخل مطفأة.

«باختصار باعت كل مساعي الفشل. إلا أن هذا لم يدفعني الى

أي تصوّر مأساوي للقضية. سألت أحد رجال الدرك إذا كان هناك ملاحٍ ليلية أخرى لا تزال تعمل في هذه الساعة. فأشار علي بأربعة أو خمسة منها، وقصدتها جميعها دون أن أعثر على اليوناني.»

- «إنه أمر مذهل!» تمتم السيّد دلفيني.

- «رويدك! كان بإمكانني أن أتقدّم إليك لمتابعة القضية بالتعاون مع شرطة لياج. ولكن بعد زيارتي للغيه مولان باتوا يعرفونني هناك لذلك فضّلت أن لا أقدم على ما قد يثيرُ الريبة لدى القاتل. والحقيقة أن عدد المشتبه بهم قليل جداً. وكان الخيط الأول الذي تتبعته ذينك الشابين اللذين تنبّهت، منذ البداية، إلى عصبيتهما وارتباكهما الظاهرين. وقادني هذا الخيط إلى أديل وعلبة السجائر المذهبة التي تخصّ القاتل.

«أما أنتم فقد استعجلتم الأمور بعض الشيء. اعتقال جان شابو. وتواري دلقوس عن الأنظار. أي اخترتم المجابهة على نطاق واسع. وكلّ هذا لم يبلغني إلّا عبر الصحف.

«وعبر الصحف نفسها بلغني أنني مطلوب للعدالة بصفتي أحد المتهمين.

«هذا كل شيء! لقد أقدتُ من كلّ ذلك!».

- «وما وجه الإفادة؟».

- «أوّلاً، لديّ سؤال: هل أنت مقتنع بأنّ الشابين هما الفاعلان؟».

- «بصراحة...».

- «حسنأ إذا! أرى أنّك غير مقتنع بذلك. وبأية حال لا أحد يصدّق والقاتل يعرف جيّداً أن التحقيق سيتخذ بين لحظة وأخرى

منحىً مختلفاً. ولذلك يتحوط للأمر وينبغي ألا نعول كثيراً على أي هفوة من جهته».

- «في المقابل، هناك شكوك كبيرة تحوم حول الرجل ذي المنكبين العريضين، كما أعلنت الصحف.

«والحال أن هذا الرجل قد تم اعتقاله وفي ظروف استعراضية واضحة. والآن أصبح الناس يعرفون أن الفاعل الحقيقي قد اعتقل هذا المساء!

«ينبغي العمل على تثبيت هذا الاعتقاد. وصباح الغد سيعلم الجميع أنني أودعت سجن سان ليونارد وأن المحقق سيحظى باعترافات صريحة وشيكة».

- «هل ستدخل السجن فعلاً؟».

- «ولم لا؟».

كان السيد دلفيني لا يصدق أن مثل هذا الأمر ممكن.

- «وبالطبع ستعطى الحرية المطلقة في التصرف والحركة...».

- «على الإطلاق! بل أطلب أن تضعني تحت تدابير الحجر الأكثر تشدداً!».

- «لديكم أساليب غريبة في باريس!».

- «ليست هذه أساليبنا! ولكن كما أخبرتك من قبل يجب أن يشعر الفاعل أو الفاعلون بأنهم خارج دائرة الخطر. هذا إذا كان ثمة فاعل بالفعل...».

ولم يتمالك الكوميسير ذو الشاربين الأصهبين نفسه من الاعتراض مذهولاً هذه المرة.

– «ماذا تقصد؟ أتكون في معرض التلميح بأن غرافوبولوس قد شجّ رأسه بأداة حادة ثم أقفل على نفسه داخل حقيبة قنب ثم ينقل نفسه بنفسه الى حديقة الحيوانات؟».

كانت عينا ميغريه الكبيرتان تلتمعان ببريق السذاجة.

– «مَنْ يدري؟».

وأضاف بعد انهماكه بحشو غليونه:

– «لقد حان الوقت لتقتادني الى السجن. ولكن قبل ذلك ينبغي ان نتفق حول بضع نقاط. هلأ دَوَّنتِ عندك؟...».

كان يتصرّف ببساطة. حتّى ان صوته كان ينمّ عن قدر كبير من التواضع. ولكن هذا المظهر الخادع لا يُخفي حقيقةً مؤكدة. وهي انه اهتدى الى الوجهة الصحيحة لمتابعة التحقيق.

– «كَلّي آذان صاغية...».

– ١ – الإثنين، غرافوبولوس يطلب حماية الشرطة الباريسية.

٢ – الثلاثاء، يحاول تضليل المفتش المكفّف بالسهر على سلامته.

٣ – الأربعاء، بعد حجزه تذكرة طائرة الى لندن، يستقل القطار المتوجّه الى برلين وينزل في مدينة ليبج.

٤ – يبدو انه لا يعرف المدينة من قبل وتقوده المصادفة الى ملهى الغيه مولان حيث لا يقوم بأي عمل غير عادي.

٥ – لحظة مغادرتي الملهى برفقة الراقصة كان أربعة أشخاص يزالون في الداخل: شابو وديلفوس اللذان تواريا عند درج القبو. وصاحب المحل وفيكتور اللذان مكثا في الصالة.

٦ - عندما عدت الى الملهى. كان صاحب المحل وفكتور يهمان بالمغادرة بعد أن أقفلا الأبواب. أما شابو ودفوس فكانا لا يزالان في الداخل.

٧ - يزعم الشابان أنهما خرجا من القبو بعد مضي ربع ساعة على الإقفال، وأنهما عثرا على غرافويولوس جثة هامة.

٨ - إذا كان زعمهما صحيحاً، فهذا يعني أن الجريمة وقعت أثناء مرافقتي الراقصة لبعض الطريق. وفي هذه الحال لا بد أن يكون جينارو وفكتور هما الجانين.

٩ - وإذا كان زعمهما خاطئاً، تكون الجريمة وقعت عند خروجهما من مخبئهما ويكون شابو ودفوس هما الجانين.

١٠ - قد تكون إفادة شابو كاذبة، وفي هذه الحال لا شيء يثبت أن الجريمة وقعت في الغيه مولان.

١١ - قد يكون القاتل هو الذي تولى نقل الجثة، ولكن من المحتمل أيضاً أن تكون الجثة قد نقلت بواسطة شخص آخر.

١٢ - في اليوم التالي يُعثر على علبة السجائر المذهبة في غرفة أديل ولكنها تدّعي أن دلفوس أعطهاها إيّاها.

١٣ - إن إفادات كل من جينارو والراقصة وفكتور تجمع على نقض مزاعم جان شابو.

ثمّ سكت ميغريه وراح ينفث دخان غليونه بتمهل فيما شخصت عينا زميله قلقاً.

- «هذا غريب حقاً!...» تتمم قائلاً.

- «ما هو الغريب؟».

«مقدار تعقيد هذه القضية، أقصد حين نتفحص تفاصيلها
عن كتب».

نهض ميغريه.

«لنأخذ قسطاً من الراحة والنوم! هل الأسرة مريحة في سان
ليونار؟».

«هل أنت جادّ في رغبتك في الذهاب الى هناك...».

«للمناسبة، أود أن أوضع في الزنزانة المجاورة لزنزانة الفتى.
وغداً، سأطلب اليك، من دون شك، أن تجري مقابلةً بيننا».

«وفي الاثناء ربّما عثرنا على صديقه دلفوس؟».

«لا أرى أهمية في ذلك».

«أعتقد أنهما أصبحا خارج دائرة التورط نهائياً؟ ذلك أن
القاضي يرفض رفضاً قاطعاً أي طلب لإخلاء سبيلهما. وبأية حال،
سيتوجب علي أن أطلعها على حقيقة أمرك...».

«وحاول أن ترجيء هذه الخطوة ما استطعت، هلاً اسديت لي
هذه الخدمة؟ ولكن ما الذي يجري في الجوار؟».

«انهم الصحفيون بالتأكيد! يجب أن أدلي أمامهم بتصريح
ما. ماذا سأقول بشأن جنسيتك؟».

«لا جنسية! مجرد مجهول الهوية! لم تعثروا على أي أوراق
ثبوتية بشأن هويتي...».

كان الكوميسر دلفيني لا يزال حائراً في أمره وواصل التحديق
خلسةً بميغريه، وقد بدت على سحنته معالم القلق المشوب
بالإعجاب.

«انا لا أفهم شيئاً».

«وانا أيضاً».

«إذ يبدو الأمر وكأن غرافويولوس إنما قَدِمَ الى ليبيج لكي يُعرِّض نفسه للقتل. وللمناسبة، لقد حَانَ الوقت لإبلاغ ذويه. سأقصد قنصل اليونان غداً صباحاً».

تناول ميغريه قبعته المستديرة ويدا مستعداً للمغادرة.

«محاول أن لا تغدق عليّ الكثير من المراعاة امام الصحفيين!» قال له منبهاً.

وفتح الكوميسير الباب فطالعهما في مكتب المفتشين الفسيح نصف دزينة من المراسلين الصحفيين يتحلّقون حول رجل عرفه السيّد دلفيني على الفور.

كان ذلك الرجل مدير «الأوتيل مودرن» الذي جاء لزيارته خلال فترة ما بعد الظهر. وكان يتحدّث بطلاقة الى الصحفيين الذين انكبوا على تدوين أقواله. وفجأة استدار ورأى ميغريه فأشار اليه باصبعه ممتنعاً.

«إنه هو! صرخ قائلاً. لا مجال للشك!».

«أعلم ذلك! لقد اعترف للتوّ انه نزل في فندقك».

«واعترف أيضاً انه أخذ الحقيقية؟»

فلم يفهم السيّد دلفيني.

«آية حقيقية؟».

«حقيقية القنب بحق السماء! إن كثرة الخدم الذين يعملون

نهاراً في الفندق كميّامين قد أربكني فعلاً وكنت أغفل عن الأمر تماماً....».

- «افصح».

- «سأفعل! في كلّ طبقة من طبقات الفندق توضع في الرواق حقيبة من القنب تستخدم لجمع الغسيل المتسخ. والحال أنّ هذه الحقائب قد أعيدت لنا منذ قليل من المصيفة فانتبهت الى أن هناك حقيبة مفقودة: حقيبة الطبقة الثالثة. وسألت عاملة التنظيفات فزعمت هذه الأخيرة انها ظنّت أن الحقيبة قد نقلت من مكانها بهدف إصلاح غطائها الذي كان لا يقفل جيّداً....».

- «وماذا عن الغسيل الذي كان فيها؟».

- «هذا أغرب ما في الأمر! لقد عثر على الغسيل الذي كان في داخلها في حقيبة الطبقة الثانية».

- «هل أنت واثق من أن الحقيبة التي وضعت فيها الجثة هي نفسها حقيبة الطبقة الثالثة؟».

- «لقد عدت لتوي من المشرحة حيث شاهدت الحقيبة وتفحصتها».

كان الرجل يُجيب عن الأسئلة لاهثاً. إذ استبدّ به القلق لتورطه رغماً عنه في هذه القضية.

إلا أن الأشدّ اضطراباً كان الكوميسير دلغيني نفسه، إذ بات عاجزاً حتّى عن الالتفات نحو ميغريه. وبلغ به الاضطراب أن نسي تماماً وجود الصحافيين والاتفاق الذي تمّ بينهما قبل قليل.

- «ما تعليقك على أقوال الرجل؟».

- «لا تعليق»، أجاب ميغريه بلهجة قاطعة.

- «ويجدر القول، أردف مدير الفندق قائلاً، انه قد يكون استطاع مغادرة الفندق دون أن يراه أحد. فالدخول الى الفندق ليلاً يتم بعد قرع الجرس فيشدّ البواب حبل المزلاج دون أن يضطر الى مغادرة سريره. اما مَنْ يريد أن يغادر فليس عليه إلا أن يدير قبضة الباب».

استطاع أحد الصحافيين من ذوي المواهب الفنية الاكيدة ان يرسم صورة سريعة لميغريه فيجعل وجهه لحيماً كلتومي الطابع واضفى على قسماته شيئاً من الغموض.

مرّر السيد دلفيني اصابع كفه في شعره وتمتم قائلاً:

- «هلاً انتظرتم قليلاً في مكثبي؟».

كان حائراً لا يعرف الى اين ينظر. فسأله أحد المرسلين:

- «هل اعترف بشيء؟».

- «دعني وشأنني!».

وقال ميغريه بهدوء:

- «أحذرك بأنني لن اجيب عن اي سؤال إضافي...».

- «جيرار! دع السيارة تقترب!».

- «الا ينبغي أن أوقع على إفاذتي؟» سأل مدير الفندق.

- «فيما بعد...».

وساد جو من اللغط والفوضى. اما ميغريه فكان يدخن غليونه

متمهلاً صافناً يوزع نظراته الثاقبة على الحاضرين أحدهم تلو الآخر.

- «الأصفاد؟» سأل جيران حين عاد.

- «أجل... لا... تعال من هنا، أنت...!».

كان يتعجل وصولهما الى السيارة للانفراد بالكوميسير.

وما إن سلكت السيارة الشوارع المقفرة شرع يسأله بلهجة توسل تقريباً.

- «ما معنى كل هذا؟».

- «ماذا تقصد؟».

- «وصمة الحقيبة. فهذا الرجل يتهمك بسرقة حقيبة من القنب من فندقه. وهي الحقيبة التي عثر على الجثة في داخلها!».

- «بدا لي أنه يلّمح الى شيء من هذا القبيل».

كان وقع كلمة «يلّمح» أشبه بالسخرية المتعمدة بعد كل الوقائع التي أكد عليها مدير الفندق.

- «هل هذا صحيح؟».

وبدل أن يجيب مباشرة شرع ميغريه يناقش.

- «حاصل القول ان هذه الحقيبة قد سرقت، وإما أن الفاعل غرافوبولوس وإما أن يكون أنا بالذات. فإذا كان غرافوبولوس يجب أن نعترف أن الأمر يكون خارقاً للطبيعة! تخيل ان الرجل حرص على أن يحمل معه نعشه!...».

«أرجو المذرة... ولكن حين عرّفت عن نفسك، منذ قليل، لم يخطر لي أن اطلب... أعني... إثباتاً...».

فتش ميغريه في جيوبه وسرعان ما أطلع رفيقه على شارة الكوميسير.

«أجل... أرجو المذرة... ولكن حكاية الحقيبة...».

ثم فجأة كأن العتمة التي تسود داخل السيارة قد مدّته ببعض الجراءة:

«أوتعلم، حتّى لو لم تطلعني على كلّ التفاصيل كنت مجبراً على اعتقالك بعد الإفادة التي أدلى بها هذا الرجل؟».

«بالطبع!».

«أكنت تتوقع مثل هذا الاتهام؟».

«أنا؟... لا!».

«وتعتقد أن غرافوبولوس هو من أخذ الحقيبة؟».

«لا اعتقد شيئاً حتّى الآن!».

وسكت السيد دلفيني وقد احتقنت وجنتاه لنفاد صبره وانحى الجانب الآخر من المقعد الخلفي. وفور وصولهما الى السجن أنجز الإجراءات الرسميّة بسرعة حريصاً على تجنّب نظرات رفيقه.

«سيقதாக الحارس...»، قال بمثابة وداع.

ربّما كان عرضةً لتأنيب ضمير. فما إن عاد الى الشارع حتى راح يسأل نفسه إذا كان قد تصرّف بشيء من الجفاء والفظاظة حيال زميله.

– «هو الذي اراد ان اعامله بقسوة!».

صحيح، ولكن فقط امام الآخرين! ثم إن اتفاقهما تمّ قبل اتهام مدير الفندق. فهل كان ميغريه، لأنه شرطي باريسى، يسخر منه ويخدعه؟

– «في مثل هذه الحال يكون مستحقاً لما اصابه...».

كان جيرار ينتظر عودة الكوميسير في المكتب منكياً على قراءة البنود التي نصّها الكوميسير ميغريه.

– «لقد احرزنا تقدماً! قال بسرور بالغ حين رأى رئيسه!».

– «آه، الآنك ترى اننا احرزنا تقدماً!».

وكان في نبرة الرئيس ما يكفي لأن تجحظ عينا جيرار دهشةً.

– «أقصد... اعتقال المشبوه... والحقيبة التي...».

– «الحقيبة التي... بلى!... انصك بأن تواصل الحديث عنها،

الحقيبة التي... صلني بعامل التلغراف...».

وما إن تمّ له ذلك حتى أملى عليه البرقية التالية:

لجانب الشرطة القضائية في باريس،

«الرجاء إيفادنا بالأوصاف الكاملة وإذا أمكن الاضبارة

الشخصية الكاملة للكوميسير ميغريه وذلك للضرورة القصوى.».

جهاز امن مدينة لياج»

*

* *

– «ماذا يعني كلّ هذا؟» تجرأ جيرار على السؤال.

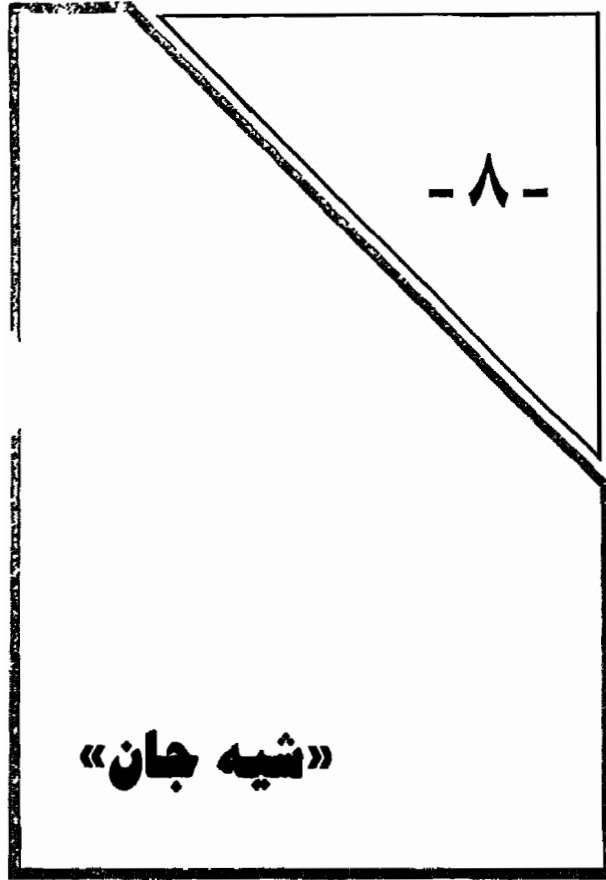
وكانت غلطة الشاطر. فصعقه الكومي سير بنظرة كاسرة.

- «هذا لا يعني شيئاً البتة، أتسمعتني؟ هذا يعني ضقت ذرعاً بأستلتك السخيفة!... هذا يعني أنني أريدك أن تدعني وشأني!... هذا يعني...».

وإذ تنبّه الى سخف الموقف الذي يمليه عليه غضبه ختم مطالعته فجأة بكلمة واحدة:

- «خذ...!».

ثم انفرد في مكتبه منكباً على بنود ميغريه الثلاثة عشر.



«إيّاك والتلاعب! قالت الفتاة البدينة بضحكةٍ داعرة. سوف يرانا الناس...».

ونفضت ثم اتجهت نحو الواجهة الزجاجية المغطاة بستار شبكي، وسألته:

«أتنتظر قطار بروكسيل؟».

كانا في مقهى صغير خلف محطة غيبومان. وكانت الصالة نسيحة بعض الشيء ونظيفة كأن زجاج نوافذها قد غُسل للتوّ ودهنت طاولاتها بعناية بالغة.

«تعالى اجلسي! تمتم الرجل الجالس الى الطاولة وامامه كوب بيرة.»

«أتعدني بأن تمكث عاقلاً؟».

وجلست المرأة وأمسكت بيد الرجل الملقاة على المقعد ووضعتها على الطاولة.

«هل أنت وكيل مبيعات؟».

«وهل يبدو عليّ أنني وكيل مبيعات؟».

«لا... لست أدري... لا! إن حاولت التلاعب معي أقف عند العتبة... قل لي ماذا تشرب... الشراب نفسه؟ ولي أيضاً؟...»

ما كان يجعل المقهى مُريباً قد يكون مظهر النظافة المفرطة والترتيب ولسة ما تجعله أقرب إلى صالةٍ في منزل خاص منه إلى مقهى أو مكانٍ عام.

كانت منصّة البار ضئيلة الحجم ولم تثبت عليها. أذرع ضخّ البيرة، وعلى الرفّ المقابل وضعت أكواب لا يتجاوز عددها العشرين أو ربّما أقل. فوق إحدى الطاولات، قرب النافذة، وضعت علبة لأدوات الخياطة، وفوق طاولة أخرى سلة لوبياء صغيرة شرع أحدهم بتجميع خيوطها ثمّ غادرها لشاغلٍ ما.

كان المكان يوحى بالهفهة وتقوح في أرجائه رائحة الحساء الساخن لا المشروبات الروحيّة. حتّى أن الداخل إليه ينتابه الشعور بأنّه ينتهك حرمة المنزل الزوجي.

كانت المرأة التي قد تكون في الخامسة والثلاثين، مثيرة تجمع بين مظهري الأناقة والامومة في وقتٍ معاً.

وكانت طيلة الوقت تصدّ يد الزبون الخجول التي كانت تلامس ركبته من حين لآخر.

«تعمل في تجارة المواد الغذائية؟»

وفجأة أصغت بانتباه. فثمة درج يفضي مباشرةً من الصالة إلى الطبقة الأولى. وتناهت جلبة من فوق، كأنّ أحداً ما ينهض من نومه.

«أستأذّنك للحظات؟»

ودنت من الدرج مصغية، ثم سلكت الرواق ونادت:

- «سيد هنري!...».

وعندما عادت كان الزبون حائراً، قلقاً، وزاد من حيرته أنه رأى رجلاً يخرج من غرفة مؤخر المحل ويصعد الدرج دون أن يحدث جلباً. ثم توارى جذعه، ثم توارت قدماه.

- «ما الأمر؟».

- «لا شيء... إنه شاب سكير ليلية أمس فنام في الطبقة العليا...».

- «و... السيد هنري... أهو زوجك؟...».

فضحكت فاهتز عنقها اللحيم الرخو.

«انه صاحب المحل... اما انا فلست سوى النادلة... انتبه...»

اقسم لك ان احداً سيراك...».

- «مع اني... كنت اود...».

- «ماذا؟».

واحتقنت الدماء في وجنتي الرجل. أحس بأنه مرتبك لا يعرف ما يجوز له أن يفعل وما لا يجوز. وراح يرمق رفيقته اللحيمة المهفهفة بعينين ملتفعتين.

- «أما من طريقة لنحظى بخلوة ما؟» همس قائلاً.

- «اجننت؟... لم الخلوة؟... إنه مقهى محترم...».

وتوقفت عن الكلام وأصغت مجدداً. تناهت الى مسامعها أطراف حوار يدور في الطبقة العليا. كان السيد هنري يرد بصوت هادئ وجاف على اتهامات محدثة.

«إنه صبي صغير!... قالت الفتاة البدينة. يثير الشفقة!... لم يبلغ العشرين بعد وتراه يثمل... كان يسرف في الشراب ويُفوق على شراب الحضور. أراد أن يتفاخر بماله أمامهم فاستغله البعض...»

فتح الباب في الطبقة العليا... وأصبحت الأصوات مسموعة
- «أقول لك إنني كنت أحمل المئات من الفرنكات في جيبي سرقتها!... أريد مالي...»
- «مهلاً! مهلاً! ما من لصوصٍ هنا! لو أنك لم تتمل مثل خنزير...»

- «أنت من قدّم لي الشراب...»
- «إذا كنت أقدم الشراب للناس فلأنني أحسب أنهم على درجة من الذكاء تتيج لهم السهر على نقودهم ومحافظتهم... ثمّ كان علي أن أمنعك بالقوة... لقد ذهبت لإحضار بعض فتيات الرصيف متزجراً بأن الساقية في المقهى لا تعاملك بلطف... وكنت تريد أن تحجز غرفة للنوم.. ولست أدري ماذا أيضاً...»
- «أعد إليّ مالي...»

- «مالك ليس معي وإذا تابعت جليبتك هذه فسأستدعي الشرطة...»

كان السيّد هنري لا يزال هادئاً فيما استبدّ الغضب بالشباب الذي كان يهبط الدرج متابعاً نقاشه الحادّ.
كان متدود القسمات، متعب العينين، ثقيل اللسان.
- «أنتم لصوص!»

– ههلاً رَدَدت هذه العبارة...–

وانقضَّ عليه السيد هنري متشبثاً بياقته.

وفجأة كادت الكارثة أن تقع. فقد شهر الصبيّ مسدساً من
جيبه وصرخ:

– «دعني وإلّا...»–

تشبث وكيل المبيعات بمقعده وأمسك مذعوراً بذراع رفيقته التي
هَمَّت بالنهوض.

جهد ضائع، فالسيد هنري، وهو الرجل الذي اعتاد بفعل مهنته
على المشاجرات، عاجله بضربة قوية على ساعده أوقعت المسدس من
يده.

– «افتحي الباب!...» قال للمرأة لاهثاً.

وعندما فتح الباب دفع الصبيّ الى الخارج بقوة فآلقاه في وسط
الرصيف. ثم لَمَّ المسدس عن الأرض ورمى به أيضاً الى الخارج.

– «تباً لهؤلاء السفلة الذين يشتمونك في عقر دارك!...» بالأمس
كان يلعب دور المكار ويوزع أمواله لمن يرغب...–

سوى تسريحة شعره والقي نظرة خاطفة نحو الباب فإذا بشرطي
يقف هناك.

– «أنت الشاهد على تهديداته لي، اليس كذلك؟ قال مخاطباً
الزبون. على أية حال الشرطة تعرف جيداً أن سمعة المقهى
تظيفة...»–

كان رينه دلفوس واقفاً على الرصيف وقد اتسخت ثيابه

واصطكت اسنانه غيظاً. وراح يجيب عن أسئلة الشرطي دون أن يدرك تماماً ماذا يقول.

- «تقول انهم سرقوا اموالك؟ أولاً، مَنْ انت؟ اعطني اوراقك الثبوتية... ولن هذا السلاح؟...».

تجمهر عدد من المارة. وعددٌ آخر كان يطلُّ براسه من باب الحافلة الكهربائية.

- «ثم اتبعني الى المخفر...».

*

* *

ما إن وصلا الى المخفر حتى انتابت دلفوس نوبة غيظ عارمة فراح يركل الشرطي. وعندما استجوبه الكوميسير روى أنه فرنسي وأنه وصل الى لياج ليلة البارحة.

- «وفي ذلك المقهى دفعوني الى الشراب حتى ثملت فسطوا على مالي...».

إلا ان شرطياً كان يقف هناك عرفه ودنا من الكوميسير هامساً في أذنه. فابتسم هذا الأخير مقتبلاً.

- «الأ تُدعى رينه دلفوس؟».

- «لا شأن لك باسمي...».

قلماً يشهد المخفر زبائن من هذا النوع المعاند. فقد مكث الفتى مطرقاً مشدود القسمات.

«والمال الذي سرق منك، أليس هو نفسه المال الذي سرقتَه أنت من إحدى الراقصات؟».

«غير صحيح!».

«مهلاً يا بني! مهلاً! سنحيلك إلى الشرطة القضائية! فليُتصل بالكوميسير دلفيني للاستفسار عما سنفعله بهذا الصوص...».

«إني جائع!» قال دلفوس بنبرة تأنيب كأنه طفل مشاكس.

اكتفى الكوميسير بهز كتفيه.

«لا يحق لكم أن تمنعوا عني الطعام... سأقدم بشكوى...».

«أذهب وأحضر له سندويشاً من المقهى المجاور...».

قضم دلفوس من السندويش لقمتين ثم رمى به أرضاً بحركة تقزز.

«ألو!... أجل... إنه هنا... حسناً!... ستقله السيارة فوراً... لا... لا شيء...».

في السيارة جلس دلفوس بين شرطين ولزم في البداية صمتاً مطبقاً. ثم دون أن يسأله أحد، تمتم قائلًا:

«مع ذلك لست أنا القاتل... بل شابو...».

لم يُعِرهُ الشرطيان اهتماماً.

«سيرفع والذي الشكوى إلى الحاكم، فهو صديق له... لم اقترب ذنباً!... لقد سرقوا محفظتي، وهذا الصباح أراد صاحب المقهى أن يطردني بعد أن جرّدت من كل أمواله...».

«ولكن المسدس لك؟».

«له... كان يهددني بإطلاق النار عليّ إن تسببتُ بأي ضوضاء... وما عليكم إلا أن تسألوا الزبون الذي كان هناك...».

وقور دخوله الى مركز الشرطة القضائية، رفع رأسه وحاول أن يتخذ مظهر الرجل الرصين الواثق من نفسه.

«آه! إنه الفتى المقدام!... قال أحد المفتشين وهو يصافح زملاءه متأملاً دلفوس من رأسه حتى أخص قدميه. سأزف النبأ الى الرئيس...».

وعاد بعد برهة وقال بقليل من الحماس

«لينتظر!...».

وبدت معالم القنوط والقلق على وجه الفتى الذي رفض أن يجلس على الكرسي التي أشاروا عليه بها. وأراد أن يشعل سيجارة، فاخطفها أحدهم من بين أصابعه.

«ليس هنا...».

«ولكنكم تدخنون!».

وسمع تمتمة المفتش الذي غادرهم مبتعداً وهو يقول:

«... يا له من ديك مشاكس...».

ومن حوله واصل الحاضرون تدخينهم وكتابتهم وتصفح ملفاتهم وبين الحين والآخر كانوا يتبادلون بعض العبارات العاجلة.

ثم سمع جرس كهربائي. فقال المفتش لدلفوس دون أن يتحرك من مكانه:

«بإمكانك أن تدخل لمقابلة الرئيس... الباب الأخير...»

لم يكن المكتبُ فسيحاً وفي الداخلِ يسودُ عبقُ أزدق من دخانِ
الغليون والمدفأة التي أشعلت نيرانها لأول مرة منذ بداية الخريف،
تحدث هديرًا مسموعاً كلما هبت رياح.

كان الكوميسير دلفيني جالساً فوق مقعده كأنه عاملٌ يعتني
عرشاً. وفي مؤخرة الحجرة، قرب النافذة، في ركن من الظلال، جلس
شخص آخر فوق كرسي.

«ادخل!... اجلس...»

وينهض الجالسُ فجأةً، وأصبح بالإمكان التعرف إلى وجه جان
شابو الشاحب وقد التفت نحو صديقه.

ثم قال دلفويس ساخرًا:

«لماذا أتيتم بي إلى هنا؟»

«للسببِ معيّن، أيها الفتى! نريد فقط أن نطرح عليك بعض
الأسئلة...»

«لم افعل شيئاً».

«وأنا لم اتهمك بشيء بعد...»

ومخاطباً شابو، قال رينه مويخاً

«ماذا قال؟... لقد روى الاكاذيب، أنا واثق من ذلك...»

«مهلاً! مهلاً! وحاول أن تردّ على أسئلتني... أمّا أنت فامكث
في مكانك...»

«ولكن...»

- «لماذا سرقت مال أديل؟».

- «هي التي أعطتني المال».

- «لقد أفادتنا بما ينقض مزاعمك كلها. لا بل تتهمك صراحة!».

- «إنها كاذبة! هي التي أعطتني المال لشراء تذكري قطار، لأننا

عزمتنا على الرحيل معاً...».

كان واضحاً انه يرمي بعباراته جزافاً دون تمعن، وبدون أدنى

حرص منه على تحاشي الأقوال المتناقضة.

- «وقد تنكر أيضاً أنك كنت مختبئاً، منذ ليلتين، عند درج القيو

في ملهى الغيه مولان...».

انحنى شابو الى الأمام كأنه يريد أن يقول:

- «انتبه! لا سبيل للإنكار... فقد كان ينبغي...».

ولكن دلفوس كان قد انتصب واقفاً واستدار محدجاً رفيقه ثم

زقق قائلاً:

- «أهو الذي روى هذه الحكاية أيضاً!... لقد كذب! أراد أن

أمكث برفقته!... من جهتي، لست في حاجة الى المال! فوالدي

ثري!... وليس لي إلا أن أطلب اليه المال... إنه هو... هو الذي

راودته فكرة...».

- «ولذلك غادرت على الفور؟».

- «أجل...».

- «هل عدت الى منزلك؟».

- «أجل...».

– «بعد أن تناولت طبقاً من البطاطا المقلية وبلح البحر في شارع
يون دافروي...».

– «أجل... على ما أظنّ...».

– «في تلك الاثناء كنت برفقة شابو! لقد أفادنا النادل بتفاصيل
هذا الأمر!».

كان شابو يفرك يديه وظلت نظراته متوسّلةً.

– «ومع ذلك لم أترف ذنباً! قال دلفوس معانداً.».

– «لم أقل لك إنك فعلت شيئاً.».

– «إذاً.».

– «إذاً، لا شيء!».

استعاد دلفوس أنفاسه، ومكث ينظر بمواربة.

– «أنت من أعطى إشارة الخروج من درج القبو؟».

– «غير صحيح.».

– «بأية حال، أنت من كان يسير في الطليعة، وأوّل من رأى

الجمّة...».

– «غير صحيح.».

– «رينه!...» صرخ شابو وقد طفح به الكيل.

ومجدداً أرغمه الكومييسير على ملازمة مكانه صامتاً. ولكنّه

واصل غمغمته كمن خارت قواه:

– «أنا لا أفهم ما الذي يدعوه الى الكذب... نحن لم نقل

أحدًا... حتى أننا لم يكن لدينا متسع من الوقت لكي نسرق... كان

يتقدمني... وأشعل عود ثقاب... أما أنا فبالكاد لمحت التركي... كل ما في الأمر أنني فطنتُ لوجود شيء ما على الأرض... حتى أنه قال لي فيما بعد إن القتل كان فاعراً الفم واحدى عينيه جاحظة....

- «إن ما تروييه لمثير حقاً!» قال دلفوس هازئاً.

وفي تلك اللحظة كان شابو يبدو أصغر من صديقه بخمسة أعوام على الأقل، ولذلك يعوزه الكثير من القدرة على التحمل إذ كان مشوش الذهن، غائم الأفكار، ويشعر بأن كلامه لا يقنع أحداً، وأنه في هذه المناظرة الدائرة، الأقل بأساً وقوة.

وكان السيد دلفيني يرمقهما على التوالي.

- «يجب أن تتفقا على رواية واحدة، أيها الصغيران. لقد شعرتما بالهلع فهرعتما الى الخارج دون أن تغلقا الباب وراءكما... تم ذهبتما لتناول البطاطا المقلية وبلع البحر».

ثم قال وقد شخصت عيناه في عيني دلفوس بغتة:

- «ولكن أخبرني! هل لمست الجثة؟».

- «أنا... لا، على الإطلاق!...».

- «وهل رأيت حقيبة من القنب في الجوار؟».

- «لا... لم أر شيئاً...».

- «كم مرة اختلست مالأ من صندوق متجر خالك؟».

- «أهو شابو الذي أفادكم بهذا أيضاً؟».

ثم صرخ وقد شد قبضته بقوة.

- «إنه كلب حقير!... وله الجرأة... إنه يخترع قصصاً كيفما

اتفق!... لأنه كان يختلس مالا من «حساب النثریات»! وكنتُ أعطيه دائماً ما يسدّد به ما اختلسه...».

- «أصمت!» قال شابو متوسلاً وقد ضمّ كفيه بحركة رجاء.

- «أنت تعلم جيداً أنّك كاذب!».

- «أنت الكاذب!... اسمع يا رينه! القاتل... هو...».

- «ماذا تقول؟».

- «أقول إن القاتل قد اعتقل...».

فنظر دلفوس الى السيد دلفيني، وسأله بصوت مضطرب.

- «ما هذا الهراء الذي يقوله؟... إلقا...».

- «ألم تقرأ الصحف؟... صحيح إذا أنّك كنت غافلاً عن الدنيا... ستقول لي الآن إذا كنت تتعرّف الى الرجل الذي صادقتماه تلك الليلة في الغيه مولان، ثمّ تعقبكما في اليوم التالي في الشوارع...».

في تلك اللحظة مسح رينه العرق المتصبب من وجهه، ومكث لا يجرؤ على النظر الى الزاوية حيث يجلس صديقه. تناهى صوت الجريس من غرفة المكتب المجاور. وكان على أحدهم أن يذهب لإحضار ميغريه من حجرة محاذية، فتح الباب. فدخل مصحوباً بالمفتش جيرار...

- «هيا أسرع!... وقف في الضوء، أرجوك... إذا يا دلفوس، هل

تعرف الرجل؟...».

- «إنه هوا!».

- «ألم تره من قبل؟».

- «أبدأ!»
- «ولم يسبق له أن توجه اليك بالكلام؟»
- «لا اعتقد...»
- «ألم تلمحه مثلاً فور مغادرتكما الغيه مولان متسكعاً في
الأنحاء؟.. ففكر ملياً .. حاول أن تستجمع كل ذكرياتك...»
- «مهلاً... بلى... ريثما... لقد لمحت أحداً عند ناصية أحد
الشوارع وأحسبُ الآن أنه ريثما كان هو...»
- «ريثما؟»
- «بالتأكيد... بلى...»
بدا ميغريه الواقف وسط الحجرة الضيقة، هائل الحجم. ولكن
عندما شرع يتكلم، كان صوته هادئاً، بالغ الرقة.
- «وكنتما لا تحملان مصباح جيب، اليس كذلك؟...»
- «لا.. لماذا؟»
- «ولم تضيئنا مصابيح الصالة... إذاً اكتفيتما بإشعال عود
ثقاب... هلاً أخبرتني كم كانت المسافة التي تفصلك عن
الجنة؟...»
- «ولكن... لا أدري...»
- «هل كانت المسافة أكبر من المسافة بين جداري غرفة المكتب
هذه؟...»
- «على مسافة مماثلة تقريباً...»
- «وإذاً، تبلغ المسافة أربعة أمتار. وكنتما، أنت وصديقك،
مضطربين.. إذ تقومان بأول عملية سطو حقيقية... شاهدتما

جسماً ممدداً على الأرض فاستنتجتما على الفور انها جثة... لم تقتريا... ولم تلمسا الجثة... حتى انكما لستما واثقين من ان الرجل كان ميتاً بالفعل... من كان يحمل عود الثقاب؟...»

- «انا! اعترف دلفوس».

- «وهل اشتعل طويلاً؟».

- «لقد اوقعته من يدي على الفور...».

- «إذا لم يسلب الضوء الخافت على الجثة إلا لبضع ثوان! فهل انت واثق يا دلفوس من أنك تعرفت الى جثة غرافوبولوس؟».

- «لقد رأيت شعراً أسود...».

وتلفت من حوله مذهولاً. إذ أدرك فجأة أنه يخضع لاستجواب حقيقي وأنه استدرج الى الإجابة دون أن يعي ذلك. فصرخ قائلاً:

- «لن أجيب إلا عن أسئلة الكوميسير!».

وكان الكوميسير في تلك الأثناء قد رفع سماعة الهاتف. وارتعدت اوصال دلفوس حين سمع الأرقام التي طلبها.

- «ألو!... السيد دلفوس؟... أريد فقط أن أعرف إذا كنت لا تزال مستعداً لدفع كفالة الخمسين ألف فرنك... لقد تحدثت الى قاضي التحقيق، الذي استشار مكتب النائب العام... أجل... اتفقنا... لا! لا تكبد نفسك عناء هذه المشقة... الأفضل أن يتم ذلك مباشرة...».

كان رينه دلفوس لا يزال غير مدرك تماماً ما الذي يجري من حوله. أما جان شابو فمكث في ركنه لا يحرك ساكناً.

- «أما زلت مصراً يا دلفوس على اتهامك شابو بأنه هو الذي
خطط وتفذ؟...».

- «أجل».

- «في هذه الحال، إنني أطلق سراحك... عد إلى منزلك... وقد
قطع لي والدك عهداً بأنه لن يلومك على شيء... مهلاً! وانت، يا شابو،
أما زلت مصراً على زعمك بأن دلفوس هو الذي سرق المال الذي كنت
تحاول أن ترمي به في المرحاض؟...».

- «إنه هو... أ...».

- «في هذه الحال، تدبّر أمرك معه... إنهما أنتما الإثنان!...
فقط حاولا أن لا تثيرا أية فضيحة وتجنباً لفت الانتباه قدر
المستطاع...».

وكان ميغروه قد أخرج غليونه من جيب سترته بحركة عفوية. إلا
أنه لم يشعله. كان يرمق الشابين اللذين أسقط في يدهما ولا يعرفان
بالضبط ماذا يفعلان أو يقولان. فكان على الكوميسير دلفيني أن
ينهض من مكانه ويدفعهما إلى الخارج دفعاً.

- «إياكما والمشاحنات فيما بينكما... ولا ينسى أحدكما أنكما
ما زلتما بتصرف العدالة...».

اجتازا بخطى سريعة غرفة المفتشين وما إن أصبحا عند الباب
حتى التفت دلفوس، مغيظاً، نحو رفيقه وشرع يلقي خطاباً حماسياً
لم يُسمع من مضمونه شيء.

*

* *

الهاتف يرن.

- «آلو! الكوميسير دلفيني؟... أرجو المعذرة يا سيدي المفتش لإزعاجك . هنا، السيد شابو الأب .. أيجوز لي أن أسأل إذا طراً جديد ما على القضية؟...».

ابتسم الكوميسير ووضع غليونه على الطاولة غامزاً ميغريه
- «لقد غادر دلفوس المركز منذ دقائق، وبرفقته ابنتك ..»

- «...» -

- «بالطبع! سيصلان خلال دقائق... آلو!.. اسمح لي أن
انصحك بأن لا تكون بالغ القسوة حياله».

كان المطر ينهمر بغزارة وكان شابو ودلفوس يُسرعان في مشيهما من رصيف الى آخر مخترقين حشد المارة الذين لم يكثرثوا لامرهما. لم يكن ما دار بينهما في الأثناء محادثة متصلة. بل بين الفينة والفينة، كان أحدهما يلتفت نحو رفيقه ويخاطبه بعبارة جارحة تستدعي من المخاطب جواباً أشد قسوة.

عند ناصية شارع بويزونسوك، انعطفا، وسلك أحدهما الجهة اليمنى فيما سلك الآخر الجهة اليسرى، لكي يصل كلُّ منهما الى داره.

- «لقد أصبح طليقاً، هذا السيد! لقد أقروا ببراعته».

وكان السيد شابو قد غادر مكتبه وبعد انتظار الحافلة رقم ٤، صعد الى جوار السائق الذي كان يعرفه منذ سنوات طويلة.

- «انتبه جيداً! لا أريد اعطالاً طارئة اليوم... لقد اطلقوا سراح

ابني!... لقد اتصل بي الكوميسير شخصياً ليقول لي إنه
أخطأ...».

وبدا شديد الإضطراب يصعبُ القول إذا كان يضحك أو يبكي.
إلّا أن غشاوةً كست عينيه فجابت عنه رؤية الشوارع المألوفة
التي تعبرها الحافلة مسرعةً.

- «قد أصل الى البيت قبل أن يصل هوا!... فالأفضل أن أكون
هناك لاستقباله لأن زوجتي قادرة على ابتكار الأسوأ... ثمة أشياء
لا تدركها النساء عادة... فهل صدّقت أنت، ولو للحظة واحدة، أنه
مذنب...؟.. قُل دون مراعاة...».

كان كلامه مؤثراً. كأنه يستجدي الجواب المطمئن من سائق
الحافلة.

- «أنا، أنت تعلم جيداً...».

- «لا بدّ أن تكون لك وجهة نظر...».

- «منذ أن أرغمت ابنتي على الزواج من متبطل لا نفع منه كانت
قد حملت منه سفاحاً، أصبحت لا أتق كثيراً بشبّان اليوم...».

كان ميغريه قد اقتعد الكنبة التي غادرها صباحو، قبالة مكتب
الكوميسير دلفيني، وأمسك بيده علبة التبغ التي كانت على الطاولة
أمام الكوميسير.

- «هل تلقيت جواب باريس؟».

- «وكيف علمت بالأمر؟».

- «هيا! لو كنت أنت المعني لخمّنت مثلي... وحقّية القنب؟ هل

أمكن التثبت من طريقة نقلها خارج الفندق؟».

- «لا، لا شيء!».

كان السيد دلقيني مقطباً لفرط انزعاجه من سلوك زميله الباريسي.

- «الكلام في سرك، لا بد أنك تهزأ بنا، اليس كذلك؟ اعترف أنك تعلم ما تخفيه عنا...».

- «لي الآن أن أجيب: لا شيء البتة! إنها الحقيقة! ما توافر لدي من عناصر التحقيق لا يختلف عما توافر لديكم! ولو كان علي أن اتخذ القرار لحذوت حذوك وأفرجت عن الشابين! ولسعيت، على سبيل المثال، أن أعرف ما الذي استطاع غرافوبولوس أن يسرقه من الغيه مولان...».

- «ما سرقه؟».

- «أو حاول سرقته!».

- «هو؟... القتل؟...».

- «بِت لا أفهم شيئاً!».

- «مهلاً! استطاع أو حاول أن يقتل...».

- «أرايت الآن أن ما اجتمع لديك من معلومات يفوق بكثير ما اجتمع لدينا...».

- «القليل القليل منها! والفارق الرئيسي بيننا هو أنك أمضيت ساعاتٍ طويلة في حالة اضطراب وسعي، من مكتب النائب العام الى المركز، ثم استقبال عدد من الناس وإجراء الاتصالات الهاتفية، في

الوقت الذي كنتُ أنعمُ فيه بالهدوء التام في زنزانتي في سجن سان ليونار...».

- «وهل نكّرتِ ملياً في بنودك الثلاثة عشر!» اجاب السيد دلفيني بشيء من الحدة.

- «ليس في البنود كلّها... في بعضها...».

- «مثلاً، حقيبة القنّب!».

فارتسمت على شففتي ميغريه ابتسامة عريضة.

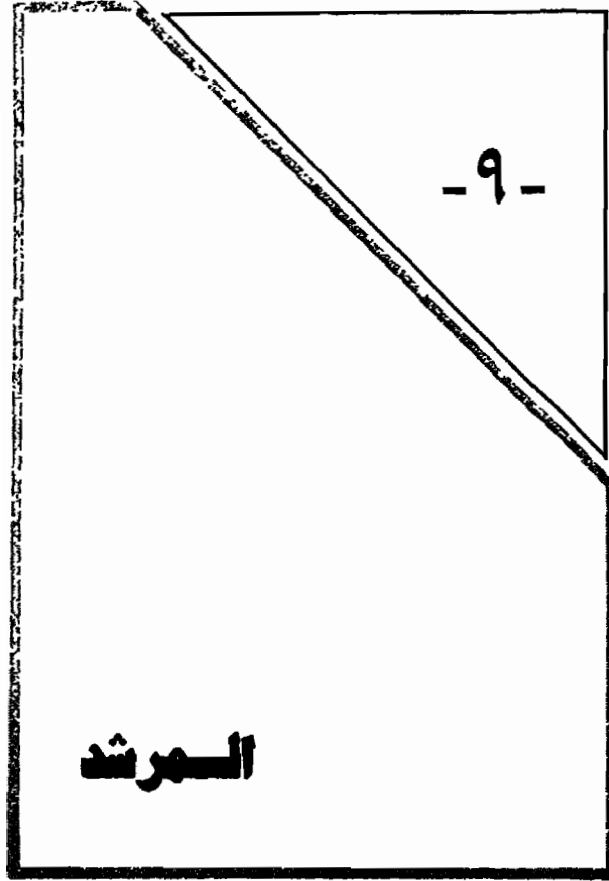
- «مجددأ؟» . هنيأ! يجدر بي أن أقول لك على الفور إنني أخذت الحقيبة من الفندق...».

- «فارغة؟».

- «لا مطلقاً! مع الجثة في داخلها!».

- «أي أنك تزعم أن الجريمة؟...».

- «وقعت في «أوتيل مودرن» وفي غرفة غرافوبولوس. ولعلّ هذا هو الجزء الشائك من القضية... أليس عليك علبه ثقاب؟...».



استرخى ميغريه فوق الكنبه وألقى ظهره على مسندها؛ تردّد قليلاً على جاري عادته حين يكون على أهبة الشروع في شرح طويل، كأنه يحاول الإهتداء الى أشد النبرات بساطة.

- «لن تلبث أن تفهم كل شيء كما فهمت الأمور من جهتي، وأرجو أن تغفر لي بعض الخداع الذي لجأت اليه في السابق. لنبدأ بزيارة غرافوبولوس الى مركز الشرطة في باريس. فهو لم يعط أي تفسير لخطوته تلك. وغداة زيارته راح يتصرف وكأنه نادم على ما فعل.

«أول ما يتبادر الى الذهن هو أنه رجل معتوه، أو رجل تتحكم به عقدة الاضطهاد...»

«أما الفرضية الثانية فتقر بأنه كان مهتداً فعلاً، لكنّه بعد التفكير اتضح له أنه لن يكون في مأمن برغم حماية الشرطة...»

«الفرضية الثالثة تقول انه شعر في وقت ما بحاجة لأن يكون مراقباً...»

«والآن سأخوض في تفاصيل ما سبق، نحن بصدد رجل ناضج يتمتع بثروة كبيرة وليست له في الظاهر أية ارتباطات. ولذلك بإمكانه

أن يستقل الطائرة أو القطار وأن يقصد المكان الذي يحلوه دون أن يثير أية شبهة.

«فأي تهديد من شأنه أن يرغمه على اللجوء الى الشرطة؟ امرأة دفعتها غيرتها الى تهديده بالقتل؟ لا أعتقد. إذ يكفي أن يبتعد عنها لكي يزول عنه خطر تهديداتها.

«عدو شخصي؟ رجل مثله، وهو ابن مصري كبير، لن يعدم وسيلة لدفع الشرطة الى اعتقاله!

«لم يكن خائفاً في باريس وحسب، بل كان خائفاً في القطار، وفي لياج...»

«لذلك توصلت الى الاستنتاج التالي أن الرجل لم يتعرّض لتهديدات شخص ما يناصبه العداء، بل لتهديدات منظمة، لا بل منظمة عالمية.

«أكرّر أنه رجل ثري. فلو كان الأمر من عمل حفنة لصوص يريدون ابتزاز أمواله لما عمدوا الى تهديده بالقتل، وبأية حال، ما كان غرافوبولوس ليعدم وسيلة تقيه شرهم وأبسط هذه الوسائل أن يبلغ الشرطة بتهديداتهم.

«والحال أن حماية الشرطة لم تبتد خوفه...»

«كان التهديد يلاحقه أينما حلّ، في كلّ مدينةٍ وكلّ مكان وفي كلّ الظروف!

«تماماً كأنه كان ينتمي الى جمعية سرّية، ثمّ خان عهدها، فحكمت عليه بالموت...»

«المافيا، مثلاً!... أو ربّما أحد أجهزة التجسس!... فهناك عدد كبير من اليونانيين في أجهزة التجسس... وسيفيدنا المكتب الثاني حول نشاطات غرافوبولوس الأب خلال الحرب...»

«لنفترض أن الابن قد ارتكب خيانة ما، أو أنه ببساطة، شعر بالملل من مثل هذه الارتباطات وأبدى رغبته في استعادة حريته. فينتلقى تهديداً بالموت ويتم تحذيره أن العقوبة ستنفذ في حقه عاجلاً أم آجلاً. فيأتي لزيارتي، ولكنّه سرعان ما يدرك أن حماية الشرطة لن تجديه نفعاً وإذ يستبدّ به القلق، يبلغ به انفعاله حدّ الجنون.

«ولكن العكس صحيح أيضاً...»

«العكس؟ قال السيد دلفيني بذهولٍ بعد أن أصغى مطوّلاً بانتباه شديد أعترف لك أنني لا أفهم شيئاً.»

«إن غرافوبولوس من الطراز الذي يُطلق عليه عادة صفة «الابن المدلل». انه رجلٌ متبطل. وخلال أسفاره الكثيرة يرتبط بمجموعة ما، مافيا أو منظمة تجسس، رغبةً منه في اختيار حياة الإثارة. ويقسم يمين الولاء والطاعة العمياء لرؤسائه. وذات يوم يتلقّى أمراً بالقتل...»

«فليجأ إلى الشرطة؟»

«اسمعني جيّداً! يُطلب إليه مثلاً أن يأتي لقتل أحد هنا، في لياج، في تلك الأثناء يكون غرافوبولوس في باريس. إنه رجل فوق الشبهات. يرفض الانصياع للأمر، ولكي يتجنب الانصياع له يلجأ إلى الشرطة، ويطلب حمايتها. ويتصل بشركائه ليبلغهم استحالة تنفيذ المهمة لأن الشرطة تتعقبه. ولكنّ الخدعة لا تنطلي على الشركاء

ويجددون أوامرهم بتنفيذ المهمة . وهذا هو التفسير الثاني... فيما أن يكون أحد التفسيرين صحيحاً وإما أن يكون صاحبنا مختل العقل، وإذا كان مختلاً فما من مبرر حقيقي لأن يتعرض للقتل! - «انه أمر محير!» قال الكوميسير دلفيني دون أن يكون مقتنعاً تماماً.

- «الخلاصة انه حين غادر باريس، جاء الى لياج لكي يقتل أو لكي يتعرض للقتل».

وكان غليون ميغريه يستعر جمرأً ودخاناً، فيما حرص، في كل ما قاله، على الاحتفاظ بسوية النبرة الطبيعية.

- «وفي آخر الأمر تعرض صاحبنا للقتل، ولكن هذا لا يثبت شيئاً. وفي استعادة سريعة لأحداث الأمسية نرى ما يلي. يقصد الغيه مولان ويمضي سهرته هناك برفقة الراقصة أديل. ثم تغادره الراقصة وترافقني بعض الطريق. وحين أعود أدراجي أرى أن صاحب المحل وفيكاتور قد أقفلا الباب ويهتمان بالمغادرة. وبدا الملهى خالياً. أحسب أن غرافوبولوس قد غادر فأبحث عنه في ملاهي المدينة الأخرى.

«عند الرابعة فجرأً أعود الى فندق «أوتيل مودرن». وقبل أن أجا الى غرفتي اذهب للتثبت من أن اليوناني ما زال خارج الفندق أمكث وراء الباب منصتاً فلا أسمع صوت تنفس. أفتح الباب قليلاً وأجده ممدداً على الأرض قرب السرير في كامل ثيابه وقد شج رأسه بأداة حادة.

«تلك هي الوقائع التي انطلقت منها، أوردتها لك باختصار. لم أعر على محفظة المجني عليه. وبعد تفتيش الغرفة لم أعر على أي

ورقة من شأنها أن تكون دليلاً، كما لم اعثر على أي سلاح أو أداة
أو أثر...».

ولم ينتظر الكوميسير ميغريه جواب زميله.

- «لقد حدّثتك في البداية عن المافيا ومنظمات الجاسوسية،
وبأية حال عن منظمة عالمية ما، تكون وحدها القادرة على تنفيذ مثل
هذه الجريمة. فقد ارتكبت الجريمة ببراعة نادرة. فقد تمّ اخفاء
أداة الجريمة ولم نعثر على طرف خيط واحد، ولا حتّى اشارة
بسيطة من شأنها أن تقود التحقيق في وجهة معقولة

ولا جدوى من الشروع في التحقيق، في اجراءاته العادية،
انطلاقاً من فندق «أوتيل مودرن»!

«فالجماعة التي نفّذت الجريمة اتخذت كلّ الاحتياطات
اللازمة. ولم تدع تفصيلاً صغيراً للمصادفة!

«ولأنني واثق من حسن درايتهم وانهم يتحسّبون لأيّ شيء،
أحاول أن أخلط الأوراق. لقد تركوا الجثة في الفندق! حسناً إذأ،
أقوم بنقل الجثة في حقيبة من القنب الى حديقة الحيوانات
بمساعدة سائق سيارة أجرة، الذي، والكلام في سرّك، ارتضى
المساعدة والتزام الصمت المطبق مقابل مئة فرنك، وهي كلفة لا
استطيع القول انها باهظة...»

«في اليوم التالي يعثر على الجثة في الحديقة. وعندئذ أيامكانك
تخيل موقف القاتل؟ ومقدار القلق الذي يُلمّ به؟

«وفي مثل هذه الحال، الا يكون معرضاً، في غمرة ارتبائه لارتكاب
هفوة ما؟

«ومن جهتي أَدفع حُرصي وتحوّطي الى حدّ اخفاء هويتي الحقيقية عن الشرطة المحلية. إذ كان علي أن أتحرّك بأي إجراء علني.

«كنتُ في الغيبه مولان. والأرجح أن القاتل كان هناك أيضاً. والحال أن لديّ لائحة بزبائن تلك الليلة، فأتحرّى بشأنهم جميعاً، بدءاً بالشابين اللذين أظهرنا قدراً من العصبية والارتباك.

«عدد المشتبه بهم قليل جداً. جان شابو، رينه دلفوس، جينارو، أديل وفيكتور...»

«وفي أسوأ احتمال يضاف اليهم أحد عازفي الفرقة الموسيقية والتانل الآخر، جوزيف. ولكن أفضل في البداية أن أحسم الشك بشأن الشابين...»

«وحين أصبحتُ على وشك الفراغ منهما تدخلت أنت! اعتقال شابو! وفرار دلفوس! والصحف التي تعلن أن الجريمة وقعت في الغيبه مولان!..»

زفر ميغريه زفرة عميقة ويدلّ من وضعية ساقيه.

- «لوهولة شعرتُ بأنني خدعت! لا حرج من الاقرار بذلك! زعم شابو أنه رأى الجثة في الملهى بعد ربع ساعة من الاققال...».

- «لكنّه رأى الجثة!» أجاب الكوميسير دلفيني.

- «أرجو المَعذرة! لقد لمح على نحو غائم وعلى ضوء عود ثقاب لم يشعل إلّا لبضع ثوان، جسماً ممتدداً على الأرض. والحقيقة أن دلفوس هو الذي يزعم أنه رأى جثة... وأن إحدى العينين كانت جاحظة والأخرى مغمضة... ولا تتسّأنهما كأننا قد خرجنا لتوهما

من القبو حيث مكثا طويلاً بلا حراك وخائفين، وأن تلك كانت أول
عملية سطو يرتكبانها...

«لقد استغل دلفوس صديقه وأقنعه بالاشتراك معه. ثم يكون
دلفوس أيضاً أول من ينهار عند رؤيته الجثة.

«إنه عصبي المزاج ومريض وسيء الأخلاق! أي بكلام آخر،
إنه صبيّ ذو خيال واسع!

«لم يلمس الجثة! لم يقترب منها! ولم يشعل عود ثقابٍ آخر! بل
هرعا معاً إلى الخارج دون أن يفتحا صندوق الملهي...

«ولذلك نصحتك بأن تسعى لمعرفة ما الذي دفع غرافوبولوس إلى
العودة إلى الغيبه مولان بعد أن تظاهر بمغادرته...

«لسنا حيال جريمة عاطفية، أو جريمة مجّانية أو بقصد السرقة
العادية. إنها بالضبط من نوع القضايا التي لا تتوصّل الشرطة، في
معظم الأحيان، إلى كشفها، لأنها، أي الشرطة، تجد نفسها حيال
أناسٍ على قدر كبير من الذكاء والتنظيم!

«ولهذا السبب طلبت اليك أن تعثّلني. للمزيد من خلط الأوراق!
لكي ندفع الجناة إلى الاعتقاد بأنهم نجوا بفعلتهم، وبأن التحقيق
يتخذ منحىً خاطئاً!

«وبهذه الطريقة قد يرتكبون هفوةً ما...».

كان السيد دلفيني لا يزال حائراً في أمره. ومكث يرمق ميغريه
بنظراتٍ لا تخلو من اللوم الشديد فيما اكتسى وجهه سحنةً مثيرةً
للضحك فقهقه مخاطبه ضاحكاً وقال له بنبرة تودّد:

- «هيا! لا تغضب مني!... لقد تلاعبتُ قليلاً، اعترف! لم اطلعك مباشرةً على كل ما اجتمع لدي من معطيات!... أو الأخرى لم أخفِ عنك إلا امرأً وحيداً: قصة حقيبة القنّب.. وفي المقابل انت تملك عنصراً مهماً في مجريات التحقيق لم يتوافر لدي...».

- «وما هو؟».

- «ربما كان الأهم في الوقت الحالي.. حتّى أن الهدف من اطلاعك على كل ما اعرفه هو الحصولُ منك على هذا العنصر الناقص. لقد عثر على الحقيبة في حديقة الحيوانات، ولم يعثر في ثياب المجني عليه إلا على بطاقة زيارة باسمه لا ذكر فيها للعنوان. ومع ذلك، بعد ظهر اليوم نفسه، قصدت الغيه مولان، ولكن قبل أن تذهب الى هناك كنت تعلم أن شابو ودفوس تواريا عند درج القبو. من أخبرك؟».

ابتسم السيد دلفيني. فقد حان دوره للتفاخر. وبدل أن يجيب على الفور، أشعل غليونه متباطئاً ونقر الرماد بطرف سباته.

- «هذا أمر طبيعي، فلدي عدد من المرشدين...» قال في البداية.

ثم سكت بعض الوقت، لا بل انهزمك بنقل بعض الأوراق من طرف المكتب الى طرفه الآخر.

- «أحسب أنكم، في شرطة باريس، تستخدمون أساليب مماثلة، من حيث المبدأ كل أصحاب الملاهي الليلية يعملون لحسابي كمرشدين. وفي مقابل خدماتهم نتقاضى عن بعض المخالفات التي يرتكبونها...».

- «هذا يعني أن جينارو...؟».

- «بالضبط!».

«وهو الذي عثر على رماد السجائر عند درج القبو؟»
«فيكتور هو الذي أطلعه على هذا الأمر فطلب إليّ أن أعاين
الأثر بنفسى...»

كان ميغريه يزداد عبوساً كلما ازداد زميله زهواً..
«عليك الإقرار بأن الأمور جرت بسرعة! اردف دلفيني قائلاً.
وتّم اعتقال شابو. ولولا تدخل السيد دلفوس لكانا لا يزالان في
السجن. فإذا ثبت أنهما لم يقتلا الرجل، وهذا لم يثبت بعد، إلا أن
هذا لا يلغي حقيقة أنهما حاولا سرقة الملهى...»

ونظر الى محدّثه وبدأ أنه يتمالك ابتسامة سخرية.

«يبدو أن الأمر قد سبّب لك بعض الضيق...»

«إنني أحسب أنّ ما تقوله لا يُعين على حلحلة الأمور!»

«وما الذي لا يعين على الحلحلة؟»

«سلوك جينارو».

«إنّذا اعترف انك تعتبره القاتل...»

«شأنه شأن الآخرين لا أكثر. هذا بالإضافة الى أن سلوكه
هذا لا يثبت شيئاً. فأقصى ما يمكن أن يدل عليه ذلك هو انه رجل
قوي جداً».

«أتريد البقاء في السجن؟»

كان ميغريه يلهو بعلبة النقب. ولم يتعجل الإجابة. وعندما تكلم
بدا كأنه يخاطب نفسه.

«لقد جاء غرافوبولوس الى لبيج ليقتل أحداً ما أو ليتعرّض
للقتل...»

- ولم تثبت صحة هذه الفرضية بعد!.

ثم زعق ميغريه مغيظاً

- «تباً لهذين الشابين!...».

- «من تقصد؟».

- «أقصد الشابين اللذين أفسدا الامور إلا إذا...».

- «إلا إذا...».

- «لا، لا شيء!».

تم نهض حانقاً وراح يذرع أرض الغرفة جيئةً وذهاباً فيما ارتفعت في أجوائها سحب الدخان الذي كان ينبعث كثيفاً من غليون الرميلين.

- «لو أن الجثة بقيت في غرفة الفندق لكان في استطاعة رجال الادلة الجنائية أن يعثروا، ربما، على...» شرع السيد دلفيني يقول.

فرمقه ميغريه بنظرات كاسرة.

فالحقيقة أن مزاج كل منهما كان أسوأ من مزاج الآخر مما أفسد سوية العلاقة بينهما. فلاقلاً تلميح كان أحدهما مُستعداً لردّ بما يوازئ التلميح من القسوة؛ إذ أصر كل منهما على جعل الآخر مسؤولاً عن فشل التحقيق.

- «أما زال لديك بعض التبغ؟»

وكانت نبرة ميغريه في سؤاله أشبه بعبارة من يقول.

- «أنت مجرّد أحمق!»

وتناول كيس التبغ من يد زميله وحشا غليونه.

- «هيه! أنت! لا تضعه في جيبيك، أرجوك...».

وفجأة كان هدنة قد اعلنت بينهما. إذ لم يتطلب الموقف أكثر من هذه الدعابة. فنظر ميغريه الى الكيس أولاً ثم الى محدثه ذي الشاربين الأصهبين، وحاول عبثاً أن يكتم ابتسامه غالبته، ثم هز كتفيه.

وابتسم السيد دلفيني أيضاً. ولم يحتفظ من تقطيب سحنته إلا ما تستدعيه شكليات العلاقة الرسمية.

وكان البلجيكي أول من بادر الى السؤال بصوتٍ أراده هادئاً كأنه يقرّ بحرجه:

- «ماذا سنفعل؟».

- «كل ما أعرفه هو أن غرافوبولوس قد قُتل!».

- «في غرفته في الفندق!».

وكانت تلك آخر تلميحات المناظرة بينهما!.

- «في غرفته، بل! والقاتل قد يكون جينارو أو فيكتور أو أديل أو أحد هذين الشابين! فهم جميعهم لم يتقدموا بأي حجة مقنعة لرفع التهمة. إذ يزعم جينارو وفيكتور أنهما افترقا عند ناصية شارع هوت سوفينيير وأنّ كلاً منهما عاد الى منزله. وتؤكد أديل أنها أوت الى الفراش بمفردها! أما شابو وديلفوس فقد أكلا بلح البحر والبطاطا المقلية...».

- «وفي تلك الأثناء، كنت تقوم بجولةٍ على الملاهي الليلية!».

«أما أنت فكنّت مستغرقاً في النوم!».

وكانت نبرته تنمّ عن رغبةٍ في المزاح.

«تشير الوقائع، غمغم ميغريه قائلاً، إلى أن غرافوبولوس مكث في الغيه مولان بعد الإقفال ليسرق منه شيئاً أو ليقتل أحداً. وعندما سمع جلبة الشابين تظاهر بأنه جثة هامة دون أن يدرك أنه سيصبح جثة هامة بالفعل في غضون ساعة واحدة...».

سُمِعَ طرقٌ على الباب الذي فُتِحَ بسرعة. ودخل أحد المفتشين وقال:

«انه السيد شايو الذي يرغبُ في التحدّث اليك. ويسأل إذا كان هذا الأمر لا يسبب لك ازعاجاً...».

فتبادل ميغريه ودلفيني نظرات عاجلة كأنما للتشاور

«دعه يدخل!».

كان الحاسبُ منفعلاً، ولا يدري كيف يحمل قبّعته المستديرة بين يديه، ثم تردّد قليلاً حين رأى ميغريه برفقة الكوميسير دلفيني.

«أرجو المذرة إذا...»

«الديك ما تقوله؟».

كان التوقيت غير ملائم إذ لا يتسع الموقف للكثير من اللياقات.

«أقصد... أرجو منك المذرة... أردت فقط أن أعبر لك عن امتناني...».

«هل وصل ابنك الى البيت؟».

- «منذ ساعة تقريباً... وقال لي...».

- «ماذا؟».

كان الموقف مُضحكاً ومؤثراً في وقتٍ معاً. وكان السيّد شابو يحاول جاهداً أن يستعيد رباطة جأشه. فهو بزيارته هذه إنما أراد أن يعبر عن امتنانه الصادق ولكنّ الأسئلة الغظة التي طالعه بها الكوميسير أنسته العبارات التي اختارها وحفظها للمناسبة. عبارات عاطفية ومؤثرة أجهضتها ظروف اللقاء غير الملائمة.

- «قال لي... أقصد أنني أودّ أن أعبّر عن امتناني للمعاملة الحسنة التي لقيها... ففي أعماق شخصيّته، ليس فتى رديئاً كما يبدو... ولكن عشرة السوء وبعض نقاط الضعف في طباعه... لقد أقسم... والدته طريحة الفراش وأقسم لها... أعدك يا سيدي الكوميسير أنه من الآن فصاعداً لن... إنه بريء، أليس كذلك؟».

كان صوت المحاسب قد أصبح متهدّجاً. إلا أنه بذل ما في وسعه كيما يحافظ على هدوئه وريصانته.

- «إنه ابني الوحيد وأود أن... ربما كنتُ ضعيفاً بعض الشيء...».

- «كنت ضعيفاً جداً، بلى!».

وفجأة ما عاد السيّد شابو متمالكاً نفسه. فأشاح ميغريه بوجهه لأنّه أحسّ بأن هذا الرجل الأربعيني الهزيل البنية، سيجهش بالبكاء.

- «أعدك، أنه في المستقبل...».

وحين استعصى عليه الكلام قال متلعثماً:

- «أعتقد أنه ينبغي أن أوجه رسالة شكر الى قاضي التحقيق؟».

- «إن شئت! بالطبع! قال السيد دلفيني وهو يقتاده نحو الباب. إنها فكرة ممتازة!».

ولم القبة المستديرة عن الأرض ووضعها بين يدي صاحبها الذي مشى القهقري إلى أن وصل الى الباب.

- «إن دلفوس الأب لن يفكر من جهته في التعبير عن امتنانه لنا! قال الكوميسير دلفيني بعد أن أغلق الباب وراء الرجل. فهو يتناول طعام العشاء الى مائدة الحاكم خلال عطلة الأسبوع، كما انه صديق حميم لمستشار الملك... هيّا...!».

كان لفظ «هيّا» هذه، ينم عن مقدار ضيقه وتقززه اللذين عبّر عنهما أيضاً بحركته العصبية عندما راح يجمع الأوراق المبعثرة على طاولة المكتب.

- «ماذا نفعل الآن؟».

في تلك الساعة، كانت أدليل لا تزال نائمة في غرفتها الصغيرة غير المرتبة والعابقة برائحة الرطوبة والطبخ. أما في الغيه مولان فكان الوقت الذي يعمد فيه كل من فيكتور وجوزيف الى مسح رخام الطاولات بتكاسل ظاهر، وإل غسل الاكواب ومسحها.

- «سيدي الكوميسير انه محرّر صحيفة «غازيت دو لييج» الذي وعدته ب...».

- «دعه ينتظر!».

وكان ميغريه قد انتحى ركناً وبدأ معتكر المزاج قليلاً.

– «ما هو مؤكد، هو أن غرافبولوس ميت!» قال السيد دلفيني
فجأة.

– «يا لها من فكرة!» أجاب ميغريه.

فرمقه الآخر ظناً منه أنها إحدى دعاياته الهازئة.

وتابع ميغريه قائلاً:

– «أجل! وهو أفضل ما في المستطاع. كم عدد مفتشي الخدمة
الآن؟».

– «لدينا مفتشان أو ثلاثة. لماذا؟».

– «وهل يمكن اقفال باب هذا المكتب بالمفتاح؟».

– «بالطبع!».

– «أحسب أنك تتق بمعاونيك من المفتشين أكثر مما تتق بحراس
السجن؟».

كان السيد دلفيني حائراً، لا يفهم شيئاً.

– «إذاً... أعطني مسدسك... ولا تخف... سأطلق النار...
وستغادر الغرفة بعد قليل لتقول إنَّ الرجل ذا المنكين العريضين قد
انتحر، وانتحاره بمثابة اعتراف بالجريمة، وأن التحقيق قد انتهى
وحفظت القضية...».

– «أتريد؟...».

– «انتبه.. سأطلق رصاصة... المهم، إياك أن تسمح لأحد منهم
بالدخول الى هذه الغرفة... أيمن استخدام النافذة للخروج من
هنا عند الحاجة؟».

- «ولكن لماذا تفعل كل هذا؟».

- «إنها فكرة راودتني... مفهوم؟...».

وأطلق ميغريه رصاصة في الهواء بعد أن جلس على كنية وضعت بحيث لا يرى من الباب سوى ظهرها. ولم يفكر حتى بانتزاع غليونه من فمه. ولكنه مجرد تفصيل لا أهمية له. وما إن هرع العاملون في المكاتب المجاورة حتى اعترضهم السيد دلفيني وغمغم قائلاً دون اقتناع: «إنه أمر بسيط... لقد انتحر الجاني... بعد أن أدلى باعترافاته...».

وخرج من المكتب تمّ عمد الى اقفال الباب بالمفتاح فيما كان ميغريه يمرر أصابع يده بين خصلات شعره ويبتسم مغتبطاً.

- «أديل... جينارو... فيكتور... دلفوس... شابو...» كان يردد كمن يتلو درساً عن ظهر قلب.

في المكتب الفسيح، كان مراسل صحيفة «غازيت دوليج» يدون بعض الملاحظات.

- «أتقول انه اعترف بكل شيء؟... ولم يتمّ الكشف عن هويته؟... عظيم! . أبايمكاني استخدام الهاتف؟... هناك طبعة البورصة في غضون ساعة واحدة...».

- «قلّ إذاً! صرخ أحد المفتشين إذ وقف بالباب متفاخراً. لقد وصلت الغلايين!... متى ستأتي لاختيار بعضها!...»

إلا أن الكوميسير دلفيني مكث يمسّد شاربيه وأجاب بفتور:
- «فيما بعد...».

- «المناسبة! لقد تبينَ أن ثمن الغليون أقلّ بفرنكين مما
حسبتُ».

- «حقاً!..»

ولم يستطع إلا أن يكشف عن موضوع انهماكه الفعلي حين
غمغم قائلاً في سره.

- «تباً له ولمافيا!...».

- ١٠ -

رجالان في العتمة

- «هل أنت واثق من جماعتك؟».

- «لن يرتاب أحدٌ، بأية حال، انهم من رجال الشرطة، وذلك لسبب بسيط وهو أنهم ليسوا من رجال الشرطة. لقد أوفدت صهري الى بار الغيه مولان. انه من سكان «سبأ» وجاء لتمضية يومين في لييج. أمّا جابي الضرائب فقد كلفته بمراقبة أديل. أما الآخرون فبعيديون عن الأنظار وبعضهم أثر التنكر...».

كانت الليلة باردة بعض الشيء والمطر المنهمر رذاذاً يجعل الأسفلت رلقاً. زرّ ميغريه معطفه الأسود جيداً حتى الياقة وتلقّع بوشاح غطّى به نصف وجهه.

هذا بالإضافة الى أنه لم يغامر في التوغل خارج الرقاق المعتم الضيق الذي تبدو على طرفه البعيد ياقطة الغيه مولان المضيفة.

أما الكوميسير دلفيني الذي لم تنشر الصحف نبأ موته، فلم يكن مجيراً على اتخاذ مثل هذه الاحتياطات. فلم يردّ معطفاً مشمّعاً وعند هطول المطر راح يُطلق عبارات غامضة.

كانت نوية المراقبة قد بدأت منذ الثامنة والنصف. أي قبل أن يفتح الملهى أبوابه. ثم وصل الجميع تباعاً. كان فيكتور أول

الوافدين ثم تبعه جوزيف ثم صاحب الملهى. وعندما وصل هذا الأخير اضاء الياقطة الكهربائية بنفسه وفي تلك اللحظة جاء العازفون من تقاطع شارع بون دافروي.

عند التاسعة تماماً تناهت موسيقى الجاز الخافتة وياشر البواب عمله بوقوفه عند العتبة وهو يعدّ قطع النقود المعدنية التي كانت في جيبه.

بعد ذلك بدقائق معدودة دخل صهر دلفيني الى الملهى، وسرعان ما تبعه جابي الضرائب.

وكان على الكوميسير أن يلخص الوضع الاستراتيجي على النحو التالي:

- «بالإضافة الى هذين وإلى الشرطيين اللذين يتوليان مراقبة الباب الخلفي، هناك من يراقب منزل أديل، في شارع لا ريجانس، وآخر أمام منزل آل دلفوس، وآخر أمام منزل آل شابو. كذلك الأمر أوفدنا من يراقب الغرفة التي كان يقيم فيها غرافوبولوس في فندق «أوتيل مودرن».

لم يقل ميغريه شيئاً. فتلك كانت خطته لقد أعلنت الصحف عن انتحار قاتل غرافوبولوس. ولسّمت الى أن التحقيق قد استكمل وأن القضية أصبحت قضية قتل عادية.

- «والآن، إمّا أن ننهي القضية هذه الليلة بالذات، قال مخاطباً زميله، وإمّا أن نراوح في التلمس والغموض لأشهر طويلة».

وداح يذرع المكان جيئةً وذهاباً مدخناً غليونه بنقثات صغيرة

عاجلة، غير مكترث، لا يستجيب لرغبة زميله في مخاطبته إلاّ
بعبارة غامضة أشبه بالزئير.

أما السيد دلفيني الذي لا يتمتع بهذا القدر من الهدوء، فكان
يشعر بالرغبة في الكلام، في تبادل أطراف الحديث، ريثما ينقضي
الوقت.

- «أتعتقد أن شيئاً ما سيحدث، وكيف؟».

إلا أن الآخر اكتفى بأن حدّجه بنظراتٍ منذهلة كأنه يقول:

- «ما الذي تجنيه من الثرثرة؟».

وكانت الساعة تقارب العاشرة حين وصلت أديل، يتبعها من بعد
خيال رجل الأمن المكلف بتعقبها. وعندما مرّ هذا الأخير بمحاذاة
رئيسه، قال هامساً:

- «لا شيء يذكر...».

وواصل تجواله في الجوار. كان شارع «بون دافروي» يبدو من
بعيد بانّخ الإضاءة تعبره الحافلات المضاءة كل ثلاث دقائق تقريباً
وكذلك عشرات المازّة على الرغم من هطول الأمطار.

إنها نزهة أهل لبيج التقليدية. إذا ازدحم الشارع الرئيسي
بحشدٍ من المارة: عائلات بجميع أفرادها، فتيات متخاصرات أو
يمسكن أيدي بعضهن البعض، زمر من الفتيات والشبان تتفرّس
في المنتزهات وحفنة من التجار الأنثيقي المظهر تسير بخطى متمهّلة
وقد تصلّبت قاماتهم كأنهم يرتدون ثياباً من ذهب.

وفي الأزقة الصغيرة، الفرعية علا صخب الملاهي الليلية التي لا

تحظى بالسمعة الطيبة ومن بينها الغيه مولان. على الجدران، تعبرُ
ظلال وأخيلة كثيرة. أحياناً تنشق امرأة في بقعة ضوء ثم لا تلبث أن
تتوارى في العتمة إذ تقف لانتظار أحدٍ ما.

تبادل عبارات قصيرة. ثم يضع خطوات في اتجاه الفندق الذي
يُشار إلى مدخله بكرةٍ من الزجاج المضاء.

- «أتأمل حقاً في حدوث شيء ما؟».

اكتفى ميغريه بأن هرّكتفيه. وبدت نظراته كابيةً صفيقة كأنها
مجردة من أي نكاء.

- «بأية حال، لا أعتقد أن شابو سيغادر منزله هذه الليلة، نظراً
لحالة والدته الصحية!».

كان الكوميسير دلفيني مصراً على رفض هذا الصمت العنيد.
فنظر إلى غليونه الذي لم يقلّفه بعد.

- «للمناسبة، سأعطيك غداً أحد هذه الغلايين، وهكذا ستحمل
تذكراً من لييج...».

دخل زيونان إلى الغيه مولان.

- «حيّط يقيم في شارع هورشاتو وعامل ميكانيكي! قال دلفيني
معرفاً. انهما من رواد الملهى المعتادين! من محبّي العيش، كما يُقال
في هذه الناحية...».

إلا أن شخصاً ما خرج من الملهى وكان عليهما أن يدقّقا النظر
فيه للتعرف إليه. كان ذلك فيكتور الذي استبدل ملابس العمل
بطقم رسميٍّ ومشمّع. وكان يسيرُ بسرعة فلم يلبث أن تعقّبه أحد
المفتشين.

- «أرأيت! أرأيت!...» همس دلفيني.

فرزفر ميغريه زقرة أطلقت ربتيه من صدره ورمق رفيقه بنظراتٍ قاتلة. ألا يستطيع هذا البلجيكي أن يصمت ولولد قائق معدودة؟.. كان ميغريه واقفاً وقد دس يديه في جيبي معطفه. ودون أن يُبدي اهتماماً ظاهراً بما يجري، كانت عيناه تلحظان بدقة أي تبدل في المشهد.

وكان أول من لمح رنيه دلفوس، بعنقه النحيل، وقامته الهزيلة كقامة مراهقٍ سيء النمو، وقد سلك الشارع الضيق متردداً، ثم اجتازه مرتين من رصيف إلى رصيف قبل أن يتجه مباشرة إلى بوابة الغيه مولان.

- «أرأيت! أرأيت!» ردّد السيد دلفيني مذهولاً.

- «أجل!» -

- «ماذا تقصد؟» -

- «لا شيء!» -

وإذا كان ميغريه لا يريد أن يقول شيئاً فلأن رؤية دلفوس أفقدته شيئاً من هدوئه المعتاد. فتقدم بشيء من الحذر لأن مصباحاً أضواء أعلى وجهه. لم يستغرقه الأمر طويلاً. ذلك أن دلفوس لم يمكث أكثر من عشر دقائق في الداخل. وعندما غادر كان يحث الخطي سالكاً في اتجاه شارع بون دافروي دون تردّد.

بعد ذلك بثوان معدودة غادر صهر دلفيني الملهي بدوره، وراح يبحث بعينيه عن شخص ما. فنادوا عليه بصفير خافت.

- «إذاً؟» -

«لقد جلس دلفوس الى طاولة الراقصة ...».

«ثم؟».

«ذهبا معاً الى حجرة المغاسل، وبعد ذلك غادر بسرعة فيما

عادت الراقصة الى مكانها...».

«هل كانت أديل تحمل حقيبتها بيديها؟».

«اجل!... حقيبة صغيرة من المخمل الأسود...».

«هيا بنا!...» قال ميغريه.

وسار بخطواتٍ أعيت رفاقه من اللحاق به.

«ماذا أفعل الآن؟» سأل الصهر

فقال الكوميسير للسيد دلفيني:

«ستعود أدراجك بالطبع!».

في شارع بون دافروي، لم يجدوا أثراً للشاب الذي كان يتقدمهم بمئة متر على الأقل، ذلك أن حشد المارة كان كبيراً. ولكن حين وصلوا الى تقاطع شارع لا ريجانس لحوا خيال شخص يركضُ بمحاذاة البيوت .

«إنه يقصد منزلها، أجل! أوضح ميغريه. لقد ذهب اليها ليأخذ

منها المفتاح...».

«وهذا يعني...؟».

دخل دلفوس الى العمارة وأغلق باب المدخل خلفه، وهرع يصعد

الدرج.

«ماذا نفعل الآن؟».

«مهلاً... أين يقف الشرطي المكلف بالمراقبة».

وكان هذا الأخير يقترّب منهما حائراً من امره، لا يعرف بالضبط إذا كان عليه أن يخاطب رئيسه أم يتجاهل وجوده طلباً للسرّية

«تعال يا جيرار! ماذا هناك؟...»

«منذ خمس دقائق دخل أحدهم الى المنزل. لقد رأيت بصيص ضوء في الغرفة كأنّ أحداً ما يهتدي بضوء مصباح جيب.»

«هيا بنا!» قال ميغريه.

«هل ندخل؟»

«بحق السماء!»

كان يكفي لفتح البوابة المشتركة لكافة المستأجرين أن يدير أحدهم قبضة المغلاق، ذلك أن العمارات البلجيكية تفتقد الى البوابين.

لم يكن الدرج مضاءً. وما من ضوء يتسرب من غرفة أديل.

ولكن ما إن لمس ميغريه الباب حتى فُتح على الفور، وتناهدت الى مسامعه جلبة مكتومة كأنها وقع شجار بين رجلين يتصارعان فوق الأرضية.

سارع السيد دلفيني الى سحب مسدسه، فيما تلمس ميغريه الجدار لجهة اليسار فعثر على مفتاح الضوء وأداره.

وما إن سطع الضوء حتى طالعهما مشهدٌ مضحكٌ ميك.

كان الرجلان منهماكين في قتالهما. إلا أن الضوء المفاجيء والجلبة جعلاهما يمكّتان بلا حراك كما كانا، يتشبّث أحدهما بعنق

الأخر. يدُ تقبض على عنق. وشعر رمادي مشعث.

- «امكثا بلا حراك! أمر السيد دلفيني! ارفعا أيديكما!».

أغلق الباب خلفه دون أن يترك مسدسه. وعندئذ تنفس ميغريه الصعداء ونزع لفحته عن وجهه وفك أزرار معطفه، واستراح أخيراً كأنه كان يضيق ذرعاً بحرارة التخفي.

- «هيا بسرعة!... ارفعا أيديكما!...».

فتعثر دلفوس لأنه أراد أن ينهض ولكن ساقه كانت مشبوبة بساق فيكتور.

*

* *

بدا من نظرة السيد دلفيني أنه حائر في أمره يطلب النصيح بشأن ما سيفعله. وكان دلفوس ونادل الملهي قد نهضا عن الأرض ووفقا شاحبين، مشعئي الشعر مدعوكي الثياب.

ومن بينهما كان الشاب هو الأكثر انفعالاً وشحوباً وبدا كأنه لا يدرك جيداً حقيقة الموقف الذي زج فيه. لا بل راح يرمق فيكتور بكثير من الذهول كأنه لم يتوقع أن يكون هو خصمه.

فمن كان إذاً خصمه العتيد؟

- «قفا بلا حراك، يا صغيري! قال ميغريه أخيراً بعد أن لزم الصمت طويلاً. هل الباب مقفل أيها الكوميسير؟».

ودنا منه وهمس له ببعض العبارات. فاقترب دلفيني من النافذة وأشار بيده إلى المفتش جيران بالصعود ووافقاه عند صحن الدرج.

– وضع ما استطعت من الرجال حول الغيه مولان. وليحرصوا على منع أي من رواده من الخروج! وفي المقابل لا تعترضوا سبيل الداخلين اليه على الإطلاق...».

ثم عاد الى الغرفة حيث رأى فوق السرير شرشفاً أقرب الى الكريما المخفوقة.

كان فيكتور صامتاً لا يحرك ساكناً. وبدت سحنته مطابقة لصورة نذل المقاهي كما يرسمها فنانون الكاريكاتور: شعْرٌ خفيف ونادر يمس فوق صلعةٍ ملساء، ولكنّه في تلك اللحظة بدأ مشعّراً في حالة فوضى، وملامح مفلطحة وعينان كبيرتان غمضاوان.

كان يقف جانبيّاً كأنه يحاول أن يخفي مظهره عن اعين الآخرين، فيما شخصت عيناه وبدأ كموارب يصعبُ التكهن به.

– ليست هذه مرّة تتعرّض فيها للإعتقال! قال له ميغريه بنبرةٍ واثقة.

كان واثقاً ممّا يقوله. لأنّ مثل هذه الامور يمكن التكهن بها من النظرة الاولى. فقد بدأ الرجل وكأنّه يتوقع منذ وقتٍ بعيد أن تعترضه الشرطة في يوم ما، وانه اعتاد مثل هذا النوع من المواقف.

– لا أدرك ما الذي تقصده بالضبط. لقد أوفدتني أديل لأحضر لها شيئاً ما...».

– «إصبع الحمرة، بلا ريب؟».

– «ولكنني سمعت جلبة... ودخل عليّ شخص ما...».

– «فسارعت الى الانقضاض عليه! هذا يعني أنك كنت تبحث عن اصبع الحمرة في العتمة. حذار! إرفعا أيديكما، لو سمحت...».

أرفرف الرجلان أذرعاً رخوة في اتجاه السقف. وكانت يدا دلفوس ترتعدان. وحاول أن يمسح وجهه بكمه دون أن يجرؤ على خفض إحدى نراعيه.

- «وانت بماذا كلفتك ادبل أيضاً»

كانت أسنان الشاب تصطك فزعاً ولكنه لم يستطع أن يجيب بشيء.

- «راقبهما جيداً يا دلفيني؟»

وقام ميغريه بجولة في أنحاء الحجرة حيث رأى على المنضدة قرب السرير بقايا قطعة لحم وفتات خبز وقنينة بيعة استهلك بعضها. انحنى مدققاً تحت السرير. وهزّ كتفيه ثم فتح خزانة حيث لم يجد إلا قسّاتين وملابس داخلية وأحذية قديمة انتزعت كعوبها.

عندئذ انتبه الى وجود كرسي قرب الخزانة فاعتلاها واقفاً ومزّر كفه فوق سطحها وعثر على حقيبة جلدية سوداء.

- «هاك يا فيكتور! قال وهو يترجل عن الكرسي. اهذا هو اصبع

الحمرة الذي تبحت عنه؟»

- «لم افهم جيداً ما الذي تقصده!»

- «اليس هذا ما جنّت بحثاً عنه؟»

- «لم أر هذه الحقيبة من قبل»

- «أنت الخاسر! وانت يا دلفوس؟»

- «أنا... أنا اقسم...»

نسي المسدّس المصوّب نحوه وارتمى فوق السرير وراح ينتحب كمن أصيب بنوبة مفاجئة.

- «إذاً، يا صغيري فيكتور، ألا تريد أن تقول شيئاً؟ أوتحرص أيضاً على كتمان سبب العراك مع هذا الفتى؟».

ورفع ميغريه عن المنضدة الطبق المتسخ والكوب والقنينة ووضع مكانها الحقيبة ثم فتحها.

- «إنها أوراق لا تعنيننا بشيء يا دلفيني! ينبغي تسليم كل هذا للمكتب الثاني... انظر! إنها تصاميم البندقية الرشاشة انه مخطط لترميم حصن ما... أوه! وأيضاً رسائل مكتوبة بالشفيرة ينبغي أن يتفحصها أخصائيون في هذا المجال...».

في القدر، فوق شببكية السخان، كانت تحترق بقايا كراتٍ فحمية وفجأةً، وبحركةٍ مباغتة هرع فيكتور نحو المنضدة وأمسك بالأوراق.

ولا بدّ أن ميغريه كان يتوقع حركته هذه، لأنه عمد، فيما مكث الكوميسير دلفيني متردداً في إطلاق النار، الى توجيه لكمة حديدية الى وجه النادل الذي ترنح دون أن يتسنى له رمي الوثائق في النار. تبعثرت الأوراق. ووقف فيكتور يسند فكّه واضعاً كفيه على خده الذي احمرّ فجأةً.

كل ذلك جرى بسرعةٍ خاطفة، ومع ذلك كاد دلفوس أن ينتهز الفرصة للهرب. ففي لمحِ البرق نهض عن السرير ومز من وراء السيد دلفيني حين تنبه اليه هذا الأخير فأوقفه على الفور.

- «والآن؟...» سأل ميغريه.

- «لن أقول شيئاً، زعق فيكتور مغيضاً.

- «وهل طلبتُ اليك أن تقول شيئاً؟».

- «لم أقتل غرافوبولوس...»

- «ويعد؟».

- «أنت رجل فظ! محامي...».

- «حسناً! حسناً! لقد عاجلت الى استشارة محام.. منذ

الآن!...».

كان الكوميسير دلفيني يراقب الفتى عن كثب وإذ تتبّع وجهة تحديقه، انتبه مرّة ثانية الى سطح الخزانة.

- «اعتقد ان هناك شيئاً آخر!» قال.

- «إنه أمرٌ محتمل!» اجاب ميغريه معتلياً الكرسي مجدداً.

كان عليه ان يمرّر كفه متلمساً ولوقتٍ طويل. وأخيراً عثر على حافظة نقود من الجلد الأزرق وفتحها.

- «إنها محفظة غرافوبولوس! قال موضحاً. ثلاثون ورقة نقدية من فئة الالف فرنك... وأوراق أخرى... مهلاً! عنوان مدوّن على قصاصة ورق: غيه مولان، شارع بودور... ويخطُ مختلف: لا احد ينام في المبنى...».

استغرق ميغريه في تفحص محتويات المحفظة وغفل عن الآخرين. كان منصرفاً الى تتبع خيط أفكاره مدققاً في رسالة مكتوبة بالشفيرة، وراح يفك بعض إشاراتهما.

- «واحد... إثنان... أحد عشر.. اثنا عشر... كلمة من اثني عشر حرفاً... هذا يعني: غرافوبولوس .. إنه في الحقيقة...».

وقع خطوات على الدرج. ثم طرقات عصبية متتالية على الباب. فوجه المفتش جيرار الذي ينضح حماسة وتوتراً.

«الفية مولان محاصر. لن يخرج منه أحد. ولكن...».

«إنه السيد دلفوس. لقد وصل الى الملهى منذ دقائق وسأل عن ابنه... وانفرد لبعض الوقت بأدب... أجل، لقد غادر الملهى... وحسبت أنه من الأفضل أن أدعه يغادر لأعمل على تعقبه... وعندما أدركت أنه قادم الى هنا... فضلت أن أسبقه... مهلاً!... ها هو يصعد الدرج...».

وبالفعل سمعت جلبة تعثر في الخارج، ثم وقع أقدام عند صحن الدرج وبعد تلمس الأبواب، طرقات على الباب.

فتح ميغريه الباب بنفسه وانحنى مرحباً بالرجل ذي الشاربين الرماديين الذي رمقه بنظرات متعالية.

«هل ابني...؟».

وما لبث أن رآه في حالة يرثى لها، فأشار بيده وقال:

«هيا الى البيت...».

وكاد الموقف يزداد تفاهماً. كان رينه يحدق في الحضور بنظرات هلع ويتشبهت بشرشف السرير فيما تصطك أسنانه وتحدث صوتاً مسموعاً.

«مهلاً! قال ميغريه حسماً للموقف. هلاً تفضلت بالجلوس يا سيد دلفوس؟».

فأجال هذا الأخير بصره في أرجاء المكان متقرزاً.

«أديك ما تقوله لي؟ من أنت؟...».

«ليس مهمماً من أكون! فالكوميسير دلفيني سيطلعك على كلِّ

شيء في الوقت المناسب هل عاملت ابنك بقسوة حين عاد الى البيت؟».

- «لقد أمرته بأن يلزم غرفته ريثما أتخذ قراراً بشأنه».

- «وما طبيعة هذا القرار؟»

- «لا أدري بعد. ولكن الأرجح أنني سأندبر أمر سفره الى الخارج لفترة تدريبية على أعمال المصارف أو الشركات التجارية. فقد أن له أن يتعلم أمور العيش».

- «لا يا سيد دلفوس...».

- «ماذا تقصد؟»

- «أقصد ببساطة أن الأوان قد فات. فقد عمد ابنك ليلة يوم الأربعاء. الخميس، إلى قتل السيد غرافويولوس بهدف سرقة...».

ويحركة خاطفة صدّ ميفريه بيده مقبض العصا الذهبي الذي هوى في اتجاهه بغتة. وأمسك بها ونثرها بقوة ممّا أرغم حاملها على تركها مُطلقاً زفرة ألم. وعندئذ تفحصها بهدوء، ثم رمى بها أرضاً.

- «وأنا واثق تقريباً من أن هذه العصا هي الأداة التي استخدمت في ارتكاب الجريمة!».

كأنّ تشنجاً ما أرغم رينه على فتح شذقيه كأنه يحاول الصراخ دون أن يصدر عنه صوت. كان عبارة عن كتلة من الأعصاب المشدودة، مجرد كائن يثير الشفقة ويستبدّ به الذعر.

- «أمل أن توضح أقوالك! أجاهه السيد دلفوس. أما أنت يا عزيزي الكوميسير فأرجو أن تعلم علم اليقين أنني سأنقل الى صديقي المدعي العام...».

التفت ميغريه نحو المفتش جيران.

- «إذهب واحضر اديل... استقل احدى السيارات... واحضر
ايضاً جينارو...».

- «أعتقد أن...» شرع السيد دلفيني يقول وقد اقترب من
ميغريه.

- «أجل! أجل!...» بادره هذا الأخير قائلاً كأنه يهدىء من روع
طفلٍ ما.

وراح يتمشى. وتابع مشيه، جيئته وذهاباً، طيلة الدقائق السبع
التي يستغرقها تنفيذ أوامره.

ثم تناهى صوت محرك سيارة. وقع أقدام على الدرج. وصوت
جينارو يعلو احتجاجاً:

- «سيكون لكم شأن مع القنصل... انه أمر مستغرب...! تاجر
يدفع الضرائب... في الوقت الذي يخص فيه محله بأكثر من خمسين
زبوناً!...».

وعندما دخل راحت عيناه تبحثان عن فيكتور بنظراتٍ استفسار.
وكان فيكتور رانعاً.

- «كلنا في القدر!» قال ببساطة.

أمّا الراقصة التي كانت شبه عارية في فستانها الذي يبرز
مفاتها، فأجالت بصرها في أرجاء حجرتها ثم أطرقت مستسلمةً
للأمر الواقع.

*

* *

- «فقط أجيبني عن سؤالتي. هل طلب اليك غرافوبولوس خلال سهرتكما معاً، أن توافيه الى غرفته؟...».

- «لست أفعل!».

- «إذاً، طلب اليك أن تفعلني وهذا يعني أنه قال لك إنه مقيم في «الأوتيل مودرن» في الغرفة رقم ١٨...».

فأطرقت

- «واستطاع شابو ودلفوس اللذان كانا يجلسان الى طاولة قريبة، أن يسمعا كل شيء. في أي ساعة وصل دلفوس الى هنا؟».

- «كنت لا أزال نائمة؛ ربما عند الخامسة صباحاً...».

- «وماذا قال؟».

- «اقترح أن نرحل معاً... كان يريد أن يسافر الى أميركا على متن مركب... وقال لي إنه ثري...».

- «هل رفضت؟...».

- «كنت نصف نائمة... وقلت له أن ينام... ولكن ليس هذا ما كان يريد... وعندئذ لاحظت أنه عصبي المزاج فسألته إذا ارتكب حماقة ما...».

- «وبماذا أجاب؟...».

- «رجاني أن أخبئ محفظة في غرفتي!».

- «فاشرت عليه بالخزانة، حيث كانت الحقيبة قد وضعت من قبل...».

فهزت كتفيها مجدداً وتنهت قائمة.

– «وأسفاه! إنها غلطتهم...».

– «إذاً هذا ما حدث بالفعل؟».

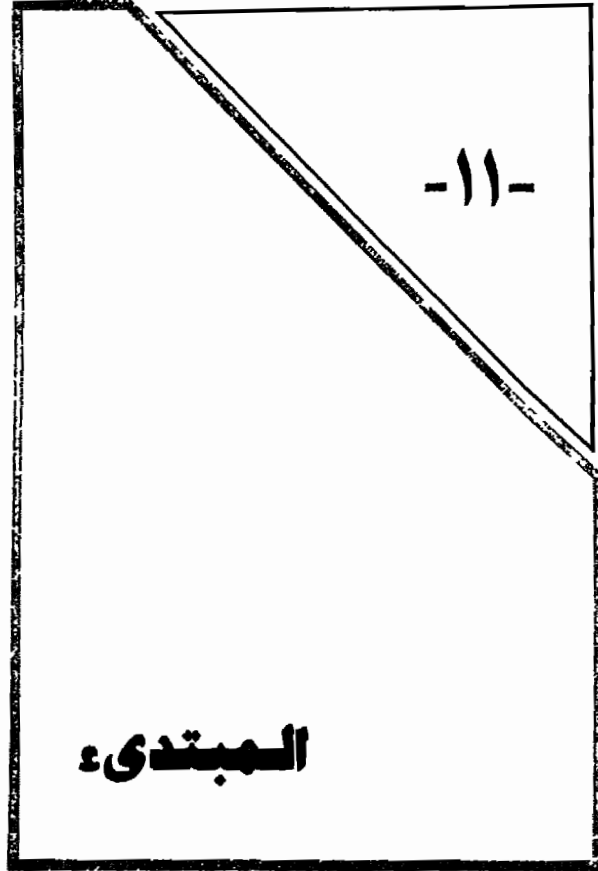
لا جواب. وراح السيد دلفوس يَسْحَقُ الحضور بنظرة تحدُّ.

– «يدفعني فضولي لأن أعرف...» شرع يقول.

– «ستعرف كل شيء بعد قليل يا سيد دلفوس. ولا أسالك إلاّ

لحظة واحدة من الصبر...».

الصبر كي يتسنى له حشو غليونه!



- ١١ -

المبتدىء

«لنتحدّث أولاً عن إقامته في باريس! هناك يلجأ غرافوبولوس الى الشرطة طلباً لحمايته، وفي اليوم التالي يحاول تضليل المفتش المكلف بمراقبته. ولا بدّ أنك تذكر يا دلفيني ما قلته لك في السابق، أليس كذلك؟»

«حكايات المافيا والجاسوسية... والحال ان هذه القضية هي قضية جاسوسية. غرافوبولوس رجلٌ ثري ومتبطل. تستهويه المغامرة كما تستهوي عدداً لا بأس به من هذا الطراز من الناس. خلال أسفاره يلتقي عميلاً سرياً ما ويسرّ اليه انه يرغب هو أيضاً في خوض حياة المفاجآت والغموض...»
«عميل سري! الكلمتان اللتان تدغدغان أحلام العديد من الحمقى!»

«فهم يعتقدون ان مزاوله هذه المهنة تكمن في... ولكن دعنا من هذا الآن! المهم أنّ غرافوبولوس كان ملحاحاً في طلبه. ولا يحق للعميل الذي يخاطبه أن يرفض مثل هذا العرض الذي قد يكون مثمراً...»

«وما يجهله عامّة الناس عادة ان الالتحاق بمثل هذه المهنة

يتطلب اختبارات تأهيلية... فالرجل ثري وعلى قدر من الذكاء.
ويسافر كثيراً... ولكن قبل أي اعتبار آخر ينبغي التثبت من برودة
أعصابه وقدرته على العمل في الخفاء وحفظ السر...

«يكلف بمهمة أولى. التوجه الى لياج بهدف سرقة وثائق من ملهى
ليلي...»

«إنها الوسيلة المثلى للتثبت من برودة أعصابه. المهمة ملفقة.
فمن يأتي لسرقتهم ليسوا سوى عملاء ينتمون الى الجهاز نفسه،
ومن شأنهم أن يعطوا الكلام الفصل في قدرات رجلنا...»

«والحال أن غرافوبولوس يشعر بالذعر! لقد تخيل أن أعمال
الجاسوسية تجري في وسط مختلف تماماً! تخيل انه سيرتاد
القصور ويخالط السفراء ويطانة البلاطات الأوروبية المختلفة...»

«لا يجرؤ على رفض المهمة. غير أنه يلجأ الى الشرطة ويطلب
مراقبته. ويحدّر رئيسه من أنه مراقب...»

«- هناك مفتش يتعقبني! أحسب في مثل هذه الحال انه لا
ينبغي أن أذهب الى لياج...».

«- عليك بالذهاب مهما كلف الأمر».

«وإذا به يملكه الهلع! فيحاول الإقلاط من المراقبة التي سعى
إليها طوعاً فيحجز تذكرة طائرة الى لندن، ويستقل قطار برلين لينزل
في محطة غيبومان..»

«الغيبه مولان!... إنه المكان المقصود... غير انه يجهل تماماً أن
صاحب الحفل قد أخطر بمجيئه وأنه أحد أفراد الشبكة وأن المهمة

كلّها ليست سوى اختبار تأهيل، وعلاوة على ذلك ان لا وجود لأي وثيقة في الملهى...

«تجلس راقصة الى طاولته... فيطلب اليها ان توافيه في آخر السهرة الى غرفته لأنه، قبل كل شيء، رجل يبحث عن المتعة... وكما يحدث عادةً يضاعف الاحساس بالخطر من تأجج شهوته... أخيراً، تدبّر أمر ليلته بحيث لا يمكث وحيداً!... وعرفاناً منه لمتعة الليلة الموعودة يُعطيها، سلفاً، علبه سجائرة المذهبة التي تنتزع إعجابها...»

«ويمكث هناك مُراقباً الناس من حوله. إنه لا يعرف شيئاً. او الأخرى لا يعرف إلاّ امرأ واحداً: انه ينبغي ان يتدبر أمر بقاته في الملهى بعد الإقفال كيما يُتاح له ان يبحث عن الوثائق المطلوبة...»
«أما جينارو الذي يعرف عنه كلّ شيء، فمكث يراقبه والابتسامه لا تفارق وجهه... وكذلك فيكتور، المعني هو أيضاً فبدا مجاملاً الى حد المبالغة في تقديمه الشمبانيا...»

«أحد ما سمع، بمحض المصادفة، العنوان الذي اعطاه لأديل.»

— «أوتيل مودرن»... الغرفة ١٨ ...»

«أما الآن فعلينا ان ننقل الى حكاية أخرى!».

ونظر ميغريه الى السيد دلفوس ولا أحد سواه.

«هلاً سمحت لي ان أتحدث عنك. أنت رجل ثري. ولك زوجة ووا وعشيقات. تحيا في الرغد والاستمتاع دون ان ترتاب للحظة أ الصبي، المتوكل، العصبي المزاج، يحاول في الوسط الضيق الذ يحيا في كنفه ان يقلدك.»

«يرى المال يُبذّر كيفما اتفق من حوله. أما ما يناله، هو، منه رغم كثرته فإنه لا يكفي في الوقت نفسه.

«منذ أعوام طويلة وهو يسرقك، لا بل ويسرق أخواله أيضاً!
«ينتهز فرصة غيابك ليستخدّم سيّارتك. وهو أيضاً له عشيقات.
أي انه باختصار، الولد الذي تنطبق عليه صفة «الابن المدلل الفاسد».

«لا! لا تعترض.. مهلاً...

«يحتاج الى صديق، إلى مَنْ يُسرّ اليه بكل شيء... فيستدرج شبابو الى نمط عيشه. وذات يوم، يجدان أنهما مفلسان... وتراكت عليهما الديون... فيصمّان على السطو على صندوق الغنيه مولان ..

ويُصادف أن تكون الليلة الموعودة ليلة غرافويولوس... يختبئ دلقوس وشابو عند درج القبو بعد أن تظاهرا بالمغادرة. فهل انطلقت الحيلة على جينارو؟... لا داعي للخوض في هذا الأمر، ولكنني أحسب أنه لم يغفل عن ذلك!

«فهو مثال العميل السري المحترف. يُدير ملهىً ليلياً. ويسدّد الضرائب، كما أكد منذ قليل ويُشرف على شبكةٍ من العملاء المساعدين الذين يعملون لحسابه! ولكي يتحوّط لأي طارئ يعمل كمرشد لحساب الشرطة..

«وهو يعلم جيداً أن غرافويولوس سيختبئ في الملهى ومع ذلك يقفل الأبواب. ويغادر برفقة فيكتور. وفي اليوم التالي لن يكون عليه إلا أن يرفع تقريراً الى رؤسائه حول سوء أو حسن تدبير اليوناني...

«كما ترون، يبدو الأمر شديد التعقيد... ويمكن أن نطلق على تلك الليلة اسم ليلة المخدوعين.

«لقد شرب غرافوبولوس الشمبانيا علها تشدّ من عزائمه. وها هو بمفرده في عتمة الغيه مولان .. ولم يبق عليه إلا أن يبحث عن الوثائق التي كلف بسرقتها...

«ولكن ما إن أتى بحركة حتى فتح باب. واشعل عود تقاب...

«أحسّ بالذعر. ألم يكن مذعوراً من قبل؟... لا يجرؤ على المبادرة بالهجوم... ويؤثر أن يتظاهر بأنه ميت...

«تم يرى خصميه... إنهما صبيان مذعوران مثله تماماً، وإن يلبثا أن يتواريا...!».

مكث الجميع بلا حراك. كأنّ أنفاسهم قد حُبست. وبدت الوجوه مستغرقة مشدودة الملامح فيما تابع ميغريه بنيرة هادئة

– «وإن أصبح غرافوبولوس وحيداً في الملهى، راح يبحث بعناد عن الوثائق العتيقة. . أما شابو ودلهوس فيعملان على تهدئة روعيهما بتناول البطاطا المقلية وبلح البحر قبل أن يفترقا في الشارع...

«ولكن دلفوس لم يستطع أن ينسى ما سمعه... أوتيل مودرن، الغرفة ١٨... والحال أن الرجل الغريب بدا ثرياً... أما هوفيعاني من حاجة مرضية الى المال... والدخول الى فندق أثناء الليل ليس أكثر من لعبة صبيان... ولا بدّ أن يكون مفتاح الغرفة معلقاً على اللوحة في ردهة الاستقبال... وبما أن غرافوبولوس قد مات! وبما انه لن يعود مطلقاً الى غرفته!...

لم يحتفظ دلفوس إلا بالعملة البلجيكية فقد كانت المحفظة تحتوي على نحو ألفي فرنك بلجيكي... أما الباقي، أي العملة الفرنسية، فبذت له مريكة ومثيرة للشبهات!

«في اليوم التالي يقرأ الصحف... لقد عثر على الضحية، ضحيته، لا في غرفة الفندق، بل في حديقة الحيوانات.

«فاختلط الأمر عليه... وبات يحيا في حالة من التشوش والتوتر العصبي... ذهب للقاء شابو... ويستدرجه لمرافقته... ويتظاهر بسرقة خاله ليبرّر وجود الألفي فرنك التي يحملها..

«يجب أن يعثر على طريقة للتخلص من هذا المال... ويكلف شابو بأن يفعل ذلك... فهو جبان... لا بل أسوأ من جبان فحالته مرّضية من دون شك... ففي أعماق ذاته يلوم صديقه لأنه لم يتورط في جرمه... ويسعى الى توريطه دون أن يجرؤ على اتخاذ خطوة محددة لتنفيذ رغباته الدفينة...

«الم تكن تلك حاله على الدوام؟... إحساس بالحسد، وكراهية يصعب تفسيرها... شابو نظيف اليد، أو على الأقل كان كذلك... أما هو فتستبد به جملة من الاحتياجات المضطربة... وربما كان هذا التفسير الفعلي للصدّاقة الغريبة التي جمعت بينهما ولحاجة دلفوس الدائمة لأن يكون برفقة صديقه.

«كان يقصده في منزله... إذ لطالما عجز عن البقاء وحيداً... لذلك سعى دائماً الى توريط الآخر بجنحه الصغيرة، السرقات العائلية الصغيرة التي لا يحاسب عليها القانون...

«شابو لا يعود من حجرة المغاسل... لقد تمّ اعتقاله... فلا يبحث

عنه... بل يسترسل في احتساء الشراب... ويشعر بحاجة لمن
يشاركه الشراب... فهناك ما لا طاقة له على احتماله. الإحساس
بالوحدة... فيمثل. ويرافق الراقصة الى غرفتها حيث ينام... وعند
الصباح الباكر يصحو من سكرته ويعاوده الذعر... فلا بد أنه لمح
المفتش الذي مكث في الشارع لمراقبته.

«هل كان يأمل في شيء ما؟ لا، لا شيء!... وكل ما سيفعله منذ
تلك اللحظة لن يكون إلا في سياق التتمة المنطقية لما سبق.

«فهو يدرك تماماً، ولو عن طريق الحدس، انه لن يفلت من قبضة
العدالة... وفي المقابل لا يجروء على تسليم نفسه...

«وليس لك، يا سيد دلفوس، إلا أن تسأل الكوميسير دلفيني أين
تبحث الشرطة وتنجح في مسعاها بنسبة تسع مرّات من عشرين - عن
جناة من هذا النوع!

«في الأماكن المشبوهة... فمثل هؤلاء يحتاجون الى الشراب
والصخب ورفقة النساء... ودلفوس الابن لم يشذ عن القاعدة...
فها هو يقصد حانة ما بجوار المحطة... ويحاول أن يقنع الساقية
بقضاء ليلة برفقته... وعندما ترفض طلبه، يذهب للبحث عن فتاة
رصيف... ويبدّر المال... ويتباهى أمام الجميع بالمبالغ التي يملكها
ويوزعها كيفما اتفق... كأنه أصيب بالجنون...

«وعندما يلقي القبض عليه، يُصرّ على الكذب، على نحو مَرَضِيٍّ!
يكذبُ عبثاً! يكذبُ حباً بالكذب، كما يفعل بعض الأولاد
المشاكسين!

«يبدو قادراً على تفتيق أي شيء، حتى التفاصيل... وهذه الصفة

من سمات طباعه التي تعيننا على تصنيف حالته..

«وفي الأثناء يقال له إن الجاني قد اعتقل... وإني القاتل!...
ويطلق سراحه.. ويقراً فيما بعد أن القاتل قد انتحر بعد الإلقاء
باعترافاته...»

«فهل يفتن الى أن الأمر مجرد شَرِك؟.. ليس تماماً.. إلا أن
شيئاً ما يدفعه، بأية حال، الى التخلّص من كل الأدلة التي قد تؤكّد
جرمه... ولذلك فبركت هذه المسرحية السخيفة التي تبدو صبيانية
بعض الشيء...»

«لقد اهدتني الى وسيلتين لدفع دلفوس الى الاعتراف الوسيلة
الأولى هي تلك التي استخدمتها، أمّا الثانية فتقتصر على تركه
وحيداً، لساعاتٍ بمفرده في العتمة الكاملة التي يخافها كما يخاف
الوحدة...»

«وكانت تلك الوسيلة كافية لدفعه الى الاعتراف بكل الحقيقة،
وربّما ما هو أكثر من الحقيقة...»

«لقد أدركت أنه الجاني منذ أن ثبت لدينا أنّ الألفي فرنك لم
تسرق من متجر الشوكولا. ومنذ ذلك الحين جاءت الوقائع
وتصرّقاته لتؤكّد لي ظنوني...»

«إنها حالة عادية، برغم ما تبدو عليه من قتامة وتعقيد.

«ولكن كان علي أن أفهم جيّداً الحالة الأخرى، حالة
غرافويولوس... وبالتالي احتمال أن يكون هناك جناة آخرون...»

«إن الإعلان عن موت القاتل، عن موتي أنا، قد أخرجهم جميعاً
من مخابئهم...»

«فجاء دلفوس للتخلص من المحفظة التي تدينه...»

«وجاء فيكتور لإحضار...»

ثم أجال ميغريه بصره في الأرجاء ناظراً الى كل من الحضور بتمعن.

- «أدبل، منذ متى يستخدم جينارو منزلك لإخفاء وثائقه الخطيرة؟».

فهزت كتفيها بلا مبالاة، كأنها تتوقع حلول الكارثة منذ وقت طويل.

- «منذ سنوات عديدة!، فهو الذي تدبر أمر مجيئي من باريس حيث كنت أتضور جوعاً...»

- «أتعترف بذلك يا جينارو؟».

- «لن أجيّب إلا بحضور محامي».

- «أنت أيضاً؟... مثل فيكتور؟...».

كان السيد دلفوس يلزم الصمت مُطرقاً، عيناه لا تفارقان العصا التي قتلت غرافوبولوس.

- «إن ابني لا يعتبر مسؤولاً عن أفعاله...» تتمم فجأةً.

- «أعلم!».

فنظر اليه السيد دلفوس نظرات ارتباك وضيق في وقتٍ معاً.

- «من أخبرك؟».

«هلاً نظرت الى وجهك ووجهه في المرآة!». -

*

* *

وَقُضِيَ الأمرُ بعد انقضاء ثلاثة أشهر كان ميغريه في منزله القائم في جادة ريشار لونوار في باريس، يقلب الرسائل التي أحضرتها له حارسة المبنى

- «رسائل مهمة؟» سألت السيدة ميغريه وقد انهمكت بنقض إحدى السجادات عند النافذة.

- «بطاقة بريدية من سقيقتك تخبرك فيها أنها سترزق مولوداً...».

- «مرة أخرى!». -

- «وطرد بريدي من بلجيكا...».

- «وماذا يحتوي؟».

- «ما من شيء مهم... انه من صديق؛ الكوميسير دلفيني ويحتوي على غليون ورسالة تطلعتني على بعض الأحكام...».

وقرأ بصوت عالٍ :

«... جينارو، خمسة أعوام في الأشغال الشاقة، فيكتور ثلاثة أعوام، أما الفتاة أديل فقد أخلت سبيلها لغياب الأدلة الجرمية...».

«من هم هؤلاء الناس؟...» قالت السيدة ميغريه التي، وإن كانت زوجة كوميسير في الشرطة القضائية، حافظت على قدر من سذاجتها الريفية الفرنسية.

«من هم هؤلاء الناس؟...» قالت السيّدة ميغريه التي، وإن كانت زوجة كوميسير في الشرطة القضائية، حافظت على قدرٍ من سذاجتها الريفية الفرنسية

- «غير مهم! أناس يديرون ملهى ليلياً في لياج؛ علبة ليلية لا يرتادها أحد إلاّ أنها كانت تستخدم كوكبرٍ لعمليات تجسس...»

- «وماذا عن الفتاة، أديل؟»

- «إنها راقصة الملهى... شأنها شأن الراقصات...»

- «وهل عرفتها؟»

ويدت نبرتها مشوبة بشيءٍ من الغيرة.

- «لقد قصدت الملهى حيث تعمل مرّة واحدة!»

- «أرأيت! أرأيت!»

- «ما بالك تتكلمين كالسيد دلفيني! لقد ذهب إليها برفقة نصف دزينة من الرجال.»

- «أهي جميلة؟»

- «لا بأس بها! لقد عرفت شاين من عشاقها.»

- «الشبان فقط؟...»

فتح ميغريه رسالة أخرى تحمل طابعاً بلجيكياً.

- «هذه صورة أحدهما.» قال.

وناولها صورة فتى هزيل القامة ضامر الجسم يرتدي بزة عسكرية. وفي الخلفية مدخنة مركبٍ ضخّم.

«... وأرفق رسالتي بصورة لإبني الذي غادر آنفـير هذا

الأسبوع على متن «اليزابيثفيل» في اتجاه الكونغو. وأرجو أن تكون حياة المستعمرات الشاقة عوناً له...».

- «من هذا؟».

- «أحد عشاق أديل!».

- «وهل اقتترف ذنباً ما؟».

- «لقد احتسى بضع كؤوس من البورتو في حانة ليلية كان الأخرى به أن يمتنع عن ارتيادها».

- «وكانت عشيقته؟».

- «لا، على الإطلاق! لم ينل منها أكثر من استراق النظر إليها خلسةً وهي ترتدي ملابسها...».

وعندئذ خلصت السيدة ميغريه الى القول:

- «الرجال هم الرجال أينما كانوا!».

*

* *

تحت رزمة الرسائل لمح ميغريه مغلفاً شطبت زواياه بخطوط سوداء.

«في هذا اليوم، تقام مراسيم دفن المرحوم رينه جوزيف آرثور دلفوس الذي توفي عن ثمانية عشر عاماً، في مصحة سانت روزالي... ومصحة سانت روزالي مخصصة لاستقبال مرضى الدماغ من الأثرياء..»

وفي ذيل الورقة، ثلاث كلمات:

[صَلُّوا لِأَجْلِهِ]

وطالعت ميغريه صورة السيد دلفوس، الأب، وزوجته ومصنعه وعشيقاته.

ثم صورة غرافوبولوس الذي أراد أن يصبح جاسوساً لأنه كان مجرد عامل عن العمل ولأن صورة الجاسوس استهوته كما ترسمها الروايات المسلية.

بعد ذلك بثمانية أيام، رأى في إحدى العلب الليلية في مونمارتر امرأة تجلس الى طاولة وأمامها كأس فارغة، وبادرته بابتسامة. كانت أديل.

- «أقسم لك أنني كنت أجهل تماماً ماذا يفعلون... كان عليّ أن أكسب عيشي، أليس كذلك؟...».

وبالطبع، كانت مستعدة للعيش بأي ثمن مجدداً.

- «لقد تلقيت صورة الفتى... أنت تعرفه جيداً... الفتى الذي كان موظفاً في مكتب ما...».

وسحبت من حقيبتها البيضاء صورة. هي نفسها التي تلقاها ميغريه! صبي هزيل القامة ضامرها يرتدي بزّة عسكرية ويعتمر، لأول مرة، خوذة الوحدات العاملة في المستعمرات.

ولا بدّ أن هناك نسخة ثالثة من الصورة تناقلتها أيدي المستأجرين، في شارع لالوا، الطالبة البولندية والسيد بوغدانوفسكي.

- «بيدو رجلاً في ملبسه العسكرية، اليس كذلك؟...» رجائي أن
ينجو من أنواع الحمى هناك!...»
وشبّان آخرون في الغيه مولان الذي أصبح يديره مالك آخرا



عثر عند درج قبو ملهى «الغي مولان» في مدينة لياج في بلجيكا
على عقبي سيجارة. وأثار اقدم وجثة رجل غريب، سرقت منه
محفظته وعلبة سجائره الذهبية.
هذا الملهى كان يرتاده شابان من أبناء الذوات، واحد يسرق
اموال انسيبائه والآخر يستدين من صندوق «الغزريات» في
شركة ليتفقا على ملذتهما وقد أدى ارتباكهما الدائم الى اثاره
المنبهة حولهما فاتهما بقتل الرجل الغريب.
للحقق ميقره كعادته يتدخل، بعد سجن الشابين ويكشف
عن المجرم الحقيقي.



1855131846